المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

مجلة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مجلة علمية محكمة

أعمال المستشرقين مصدرا من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين

للدكتور / علي بن إبراهيم النملة

العدد السابع ربيع الآخر ١٤١٣ هـ - أكتوبر ١٩٩٢ م

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

مجلة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مجلة علمية محكمة

أعمال المستشرقين مصدرا من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين

للدكتور / علي بن إبراهيم النملة

العدد السابع ربيع الآخر ١٤١٣ هـ - اكتوبر ١٩٩٢ م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

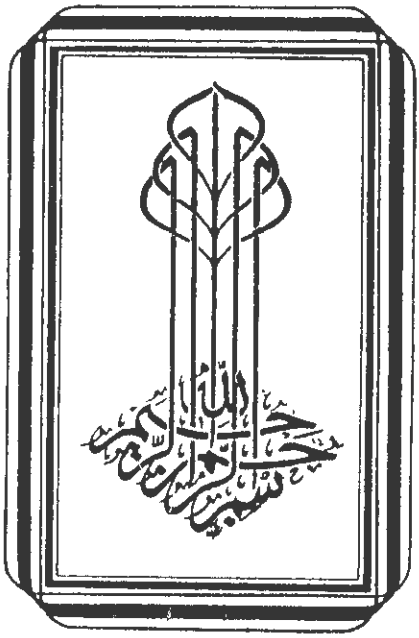

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مجلة جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

العدد السابع
ربيع الثاني ١٤١٣

أعمال المستشرقين
مصدرا من مصادر المعلومات
عن الإسلام والمسلمين

إعداد

علي بن إبراهيم النملة

عضو هيئة التدريس بقسم المكتبات والمعلومات
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* ثم غلا قومنا غلوا غير مستساغ في تمجيد المستشرقين والإشادة بذكرهم، والاستحذاء لهم، والاحتجاج بكل ما يصدر عنهم من رأي خطأ أو صواب، يتقلدونه ويدافعون عنه، ويجعلون قولهم فوق كل قول، وكلمتهم عالية على كل كلمة، إذ رأوهم أتقنوا صناعة من الصناعات: صناعة تصحيح الكتب، فظنوا أنهم بلغوا فيما اشتغلوا به من علوم الإسلام الغاية، وأنهم اهتدوا إلى ما لم يهتد إليه أحد من أساطين الإسلام وباحثيه، حتى في الدين: التفسير والحديث والفقه.

أبو الأشبال
أحمد محمد شاكر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المدخل:

الاستشراق ظاهرة تمثل الاهتمام بعلوم الشرق بعامة وبعلوم المسلمين بخاصة، ولم يقتصر اهتمامها على العلوم فحسب، بل امتد الاهتمام إلى الثقافة والآداب والعادات والتقاليد والأساطير ونحوها. وقد كان لهذه الظاهرة في الآونة الأخيرة أثرها في الدراسات الإسلامية منذ بدأت حركة التأليف الجادة في المحيط العربي الحديث بعد الصحوة من سيطرة الاستعمار، فقد تنبه العرب والمسلمون على إسهامات المستشرقين في تراث المسلمين، وكان هذا التنبُّه قد جاء في وقت كان المسلمون فيه قد وصلوا إلى مرحلة خطيرة من التقهقر السياسي والاجتماعي والاقتصادي نتيجة للبعد عن الدين نفسه مما أثر في جزء غير قليل منهم في ثقتهم بانتمائهم لهذا الدين، فكان أن انبهر جزء كبير منهم بهؤلاء المستشرقين وهم ينتمون إلى ثقافة غير الثقافة الإسلامية فيتحدثون عن القرآن الكريم وعن سيرة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسنته وعن التاريخ الإسلامي وسير رجاله عائدين في توثيق أحاديثهم إلى أمهات الكتب والمصادر الإسلامية لعلوم المسلمين[1].

ومع وصول المسلمين إلى مرحلة خطيرة من التقهقر كانت هناك فئة منهم تمسكت بدينها على أصوله الصحيحة. فلم يثق هؤلاء بالمستشرقين وهم يتحدثون عن الإسلام وتراث المسلمين، لأن هذه الفئة المتنبهة أدركت أنه لن يخدم الإسلام والمسلمين إلا أهل الإسلام وأبناء المسلمين، وبنت هذا الإدراك على استقراء آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[2] وعلى استقراء التاريخ ومواقف اليهود والنصارى من الإسلام والمسلمين منذ بعثة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد بدأت السبئية تضرب أطنابها في المجتمع المسلم منذ سنيه الأولى[3]. وقد عرف في التاريخ الموثق أن اليهود سمّوا الرسول ـ صلى الله عليه

(١) نؤكد دائماً للطلبة الدارسين لمصادر التراث بقسم المكتبات والمعلومات. وفي كل مقام أن القرآن الكريم وسنة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليست من التراث، لأنه لا ينطبق عليها ماينطبق على مفهوم التراث من المراجعة والأخذ والرد والنقد ونحوها مما لايصدق على كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم.

(٢) الآية (١٢٠) من سورة البقرة.

(٣) نسبة إلى عبدالله بن سبأ. وستأتي إشارة إلى هذا التوجه فيما يلي من الصفحات.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسلم -[4] وأن لهم ضلعا في فتنة مقتل عثمان - رضي الله عنه - ، وأن كيدهم استمر مع استمرار هذا الدين مما يوحي بالاستمرار في هذا الخبث لأن هذا الدين مستمر ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[5].

ولم يكن موقف النصارى من الإسلام والمسلمين بأقل من موقف اليهود خبثا، وإن لم يبد هذا ظاهرا إلا إبان الحروب الصليبية التي امتدت سنين عديدة[6] . فكان أن عد هؤلاء المتنبهون من المسلمين إسهامات المستشرقين داخلة في هذا الصراع، إذ أدركوا أن هذا المستشرق أو ذاك ممن يتحدث عن الإسلام والمسلمين قد نشأ وتربى على هذه الخلفية المعادية للإسلام والمسلمين، فعرّفوا المستشرق على أنه « أعجمي ناشيء في لسان أمته وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافتها (ألماني أو إنجلزي أو فرنسي)، متى استوى رجلا في العشرين من عمره أو الخامسة والعشرين فهو قادر، أو مفترض أنه قادر، تمام المقدرة على التفكير والنظر ، ومؤهل ، أو مفترض أنه مؤهل أن ينزل في ثقافته ميدان «المنهج» و «ماقبل المنهج» بقدم ثابتة . نعم، هذا ممكن أن يكون كذلك . ولكن هذا الفتى يتحول فجأة عن سلوك هذا الطريق ليبدأ في تعلم لغة أخرى[7] ، مفارقة كل المفارقة للسان الذي نشأ فيه صغيرا، ولثقافته التي ارتضع لبانها يافعا «يدخل قسم » اللغات الشرقية في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدي تعلم ألف باء تاء ثاء، أو أبجد هوز في العربية، ويتلقى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها من أعجمي مثله، وبلسان غير عربي، ثم يستمع إلى محاضرين في آداب العرب أو أشعارها أو تاريخها أو دينها أو سياستها بلسان

(٤) وكان هذا في خيبر. وسيأتي الحديث عن هذه الحادثة فيما يلي من الصفحات.

(٥) الآية (١٩) من سورة آل عمران.

(٦) بدأت في ربيع الثاني ٤٩١هـ/ مارس ١٠٩٨م وانتهت في شعبان ٦٩٠هـ أغسطس ١٢٩١م. انظر سعيد عاشور. الحركة الصليبية. - ٢ج. - القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م. - ٢/١١٢٦.

(٧) وهذا قد يصدق على بعض المستشرقين اليهود الذين بدأوا رحلتهم بدراسة العبرانية ثم توسعوا لدراسة اللغات السامية فوجدوا منها العربية أكثرها حيوية وتراثاً ومتحدثين فانعطفوا عليها يدرسونها ويدرسون تراثها وأهلها. قصدا إلى إيجاد الثغرات فيه مما يوحي بالامتداد في الكيد للإسلام وأهله. ولعل إمام هؤلاء «إجناس جولدتسيهر» حيث مر بهذه المراحل حتى استقر به المقام أن يكون علماً من أعلام المستشرقين» انظر نجيب العقيقي. المستشرقون. -٣ج. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١. - ٣/٤٠ - ٤٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

غير عربي، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل، ثم يتخرج لنا «مستشرقا» يفتي في اللسان العربي والتاريخ العربي والدين العربي»[٨] فهو هنا يتحدث عن ثقافة لا يؤمن بها، ولا يعمل بها، ولا ينتمي إليها، وتلك هي أعمدة الثقافة الثلاثة وأركانها (الإيمان والعمل والانتماء) لا يكون لها وجود ظاهر إلّا بها[٩].

وبين هذين الموقفين كان أخذ ورد، وهجوم ودفاع، وتكريم وتشهير، حتى تخطى الإنتاج الفكري في هذا المجال ألفي عمل بين كتاب ومقالة ومحاضرة وحديث في المجلات الثقافية السيارة في اللغة العربية فقط[١٠] ولم يتفق المثقفون العرب (والكاتبون بالعربية من غير العرب) على تحديد موقف إزاء هذه الظاهرة، فكان أن أوصلها البعض إلى علم له نظريته ومنهجه، وله وصفه وأهدافه وغاياته، وأوقفها البعض عند مجرد الظاهرة المؤثرة في المجتمع المسلم المثقف وغير المثقف، مثلها في هذا مثل التنصير والاستعمار، فجعلها معولا من معاول الهدم وجناحا من أجنحة المكر[١١] ولم يتفق المثقفون العرب (والكاتبون بالعربية من غير العرب) على تعريف لمفهوم الاستشراق، كما لم يتفقوا على بداياته الأولى. فهناك أربعة مفهومات حول الاستشراق تبدأ من المفهوم الأعم إلى المفهوم الأخص، كما أن هناك أكثر من اثنى عشر رأيا حول انطلاقة الاستشراق وبداياته.

فالتعريف الأعم للاستشراق هو دراسة الشرق، ثقافاته ومعتقداته وآدابه وعاداته

(٨) محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. ـ القاهرة: دار الهلال، ١٤٨٨هـ. ـ ص٩٩ ـ ١٠٠. ـ (سلسلة كتاب الهلال/٤٤٢).

(٩) عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي. ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ١٤١١هـ. ـ ص٧٣. ـ (سلسلة كتاب الأمة/٢٧) نقلا عن محمود محمد شاكر في رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. ـ ص٩٨.

(١٠) علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق والمستشرقون في الأدبيات العربية ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ.

(١١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار: دراسة وتحليل وتوجيه. ـ ط٤. ـ دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ. ـ وانظر إسهامات أنور الجندي، مثل الإسلام في وجه التغريب: مخططات التبشير والاستشراق، وسموم الاستشراق في العلوم الإسلامية، والشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، وشبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتقاليده وأساطيره وتاريخه من قبل علماء ومؤسسات غربية[١٢] وبين الأعم والأخص عام وخاص. والتعريف الأخص - عندي - هو دراسة العلوم الإسلامية وآداب المسلمين وعقائدهم وثقافاتهم وتراثهم وأساطيرهم من علماء غير مسلمين ومؤسسات غير مسلمة. وواضح أن هذا التعريف الأخص يخرج أولئك الذين يدرسون ثقافات شرقية غير إسلامية، كما يدخل أولئك العرب غير المسلمين ممن لهم إسهامات مباشرة في علوم المسلمين. ومثل هذا التعريف يحدث شيئا من اللبس ناتج عن غموض فكرة الاستشراق.

والبدايات الأولى للاستشراق عند الباحثين العرب (والباحثين بالعربية من غير العرب) تختلف إلى مدى قد يصل إلى أكثر من ستمائة (٦٠٠) سنة. فالبداية عند البعض تعود إلى غزوة مؤته على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -[١٣] وهي عند البعض من علماء المسلمين ومثقفيهم تبدأ رسميا سنة ١٣١٢ ميلادية مع صدور قرار مجمع «فيّنا» الكنسي بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية وغيرها من اللغات في عدد من الجامعات الأوربية[١٤]. وبين تلك وهذه يبرز العالم النصراني «يوحنا الدمشقي»[١٥] الذي كتب لإخوانه في النصرانية مما كتب (محاورة مع مسلم) وكتاب (إرشاد النصارى في جدل المسلمين) وكان هذا في القرن الأول الهجري / نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلادي[١٦].

---

(١٢) رودي بارت. الدراسات الإسلامية في الجامعات الألمانية. - ترجمة مصطفى ماهر. - القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م. - ص ١١.

(١٣) ومؤته قرية من أرض البلقاء بالشام. وكانت الغزوة في جمادي الأولى سنة ثمان للهجرة، وقابل فيها المسلمون الروم. وهي التي تعد الانطلاقة العلمية الأولى للمسلمين خارج الجزيرة العربية. انظر عبدالسلام هارون. تهذيب سيرة ابن هشام. - ط٣. د.م: المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٩٦هـ. - ص ٢٧٠.

(١٤) إدوارد سعيد. الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء. - نقله إلى العربية كمال أبو ديب. - بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م. - ص ٨٠.

(١٥) يوحنا الدمشقي، معلم الكنيسة، ألف في اللاهوت والفلسفة والخطابة والتاريخ والشعر. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون. - ١/٧٢.

(١٦) نجيب العقيقي. المستشرقون. - ١/٧٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولست بصدد التوسع في هذه الوقفات، فليرجع إليها في مظانها، ولكنها على أي حال تفتح لنا المجال لنغوص في الإسهامات نفسها لنرى مدى المنهجية في التعامل مع الثقافة الإسلامية والتراث الإسلامي من هذه الفئة التي لم تقتصر إسهاماتها على التراث فحسب، بل هي لا تزال تبحث في الواقع الذي نعيشه اليوم، تقدم حوله الدراسات التي يعتمد عليها في القرار السياسي والعسكري والاقتصادي والعلمي. وإنني أحمّل المستشرقين جزءا غير يسير مما وصلنا إليه اليوم فيما قبل الأزمة وما بعدها[17] بل إنني أرى أن لهم قصب السبق في توجيه دفة تلك القرارات[18].

وكما اختلف في المفهوم والبدايات اختلف كذلك في الدوافع والغايات. ويؤكد أحد الباحثين أن الدوافع والأهداف مهما اختلفت وتنوعت فإنها لا تخرج عن غايتين يمكن تلخيصهما بأنهما حماية الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام فيؤمن به ويحمل رايته أولا، ثم معرفة الشرق ودراسة أرضه ومياهه وطقسه وجغرافيته ورجاله وتراثه قصدا إلى الوصول إليه ثانيا[19].

ولكنه لن يصل إليه ما دام هذا الشرق قد تمثل الثقافة بأعمدتها الثلاثة، الإيمان والعمل والانتماء، فكان لابد من السعي إلى زعزعة هذه الأركان الثلاثة أو بعضها

---

(١٧) المقصود هنا الأزمة التي نتجت عن غزو العراق للكويت في ١٤١١/١/١١هـ - ١٩٩٠/٨/٢م.

(١٨) شاع الآن أن بعض مراكز الدراسات العربية والإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأوروبا مدعومة من قبل وكالات الاستخبارات، وأنها تُستأجر في إجراء دراسات حول الأوضاع الراهنة في المنطقة. وهناك وثائق تؤيد هذا صدرت عن بعض رؤساء هذه المراكز التي تدرس المجتمع الإسلامي المعاصر وتنظر إلى التغييرات التي يعيشها المجتمع، وترتكز على منبع هذه التغييرات وتوصي بمواجهتها إن بدا منها مايهدد المصلحة الأجنبية في المنطقة. وأهم هذه التغييرات متابعة الصحوة وأثرها على القرار السياسي. والمركز التابع لجامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية مثال على ذلك.

(١٩) عبد العظيم محمود الديب، المنهج في كتابات الغربيين.. ص ٣٨ - ٣٩. وهناك من يفصل في الدوافع والغايات فيوزعها إلى سياسية وتنصيرية واستعمارية وتجارية وعلمية، والعلمية إما نزيهة وإما مشبوهة. بل إن هناك من يفرق بين الدوافع والأهداف فيعطي لكلٍ عواملها المستقلة. وينبغي التنويه هنا إلى أن هذه الوقفة إنما هي عالة على هذا الكتاب وكتاب آخر للمؤلف نفسه عن المستشرقين والتراث سيأتي بيانه. ورغم إثباتهما في أكثر من موضع إلا أنه من المهم التأكيد على أن الفكرة والمعلومات مستقاة منهما ثم من المراجع المساندة الأخرى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بحيث تصبح الثقافة «مجرد معلومات ومعارف وأقوال مطروحة في الطريق متفككة لا يجمع بينها جامع ولا يقوم لها تماسك ولا ترابط ولا تشابك»[٢٠]. ويمكن أن تتزعزع هذه الأركان الثلاثة عندما يتمكن الاستشراق من إبعاد سلطان الدين عن النفوس. وتلك محاولة صرح بها «هاملتون جب»[٢١] في كتابه (وجهة الإسلام)[٢٢] حيث يقول عن العمل الاستشراقي: «كانت النتيجة الخالصة لهذه الحركة التعليمية (على الطريقة الغربية) أنها حررت ـ بقدر ما كان لها من التأثير ـ نزعة الشعوب الإسلامية من سلطان الدين دون أن تحس الشعوب بذلك غالبا، وهذا تقريبا هو جوهر كل نزعة غربية فعالة في العالم الإسلامي»[٢٣] ويقول كذلك في الكتاب نفسه: «تحاول الدراسات الاستشراقية الحديثة التركيز على أهمية القوانين الوضعية وتطبيقها على المسلمين بدلا من شريعة القرآن»[٢٤].

ولا يستطيع المستشرقون ـ أو غيرهم ـ أن ينزعوا العلم من صدور الناس، كما لا يستطيعون إبعاد سلطان الدين عن النفوس إلا بتقويض الأعمدة الثلاثة للثقافة. فنحن ندرك أن التحول لا يكون سريعا، ولكن العلم يتضاءل من الصدور، فيكثر الخلط والجهل، وتهتز الثقة، فيكون البحث عن البديل فيخرج في الأمة من يتمثل فيه ذلك، فيدعو إلى نبذ الماضي، وإعادة التشكيل الثقافي وفق النمط الغربي، والتقليل من قيمة الميراث الثقافي أو قراءته بأبجدية النسق الغربي[٢٥] وإن لم يكن ذلك ممكنا فلا بأس من الانتقاء من التراث الديني والأدبي والثقافي نقاطا تهز الثقة، مرت

(٢٠) المرجع السابق. ـ ص ٧٣.

(٢١) مستشرق بريطاني (١٨٩٥ ـ ١٩٧١م)، اهتم بالأدب العربي، تتلمذ على كيندي، وخلف مرجليوث في أكسفورد. له إسهامات عدة حول الإسلام والعربية والرحلات. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ ٢/ ١٢٩ ـ ١٣١.

(٢٢) ذكر نجيب العقيقي (٢/ ١٣٠) أن من كتبه الاتجاهات الحديثة في الإسلام «وهو خير كتبه». وقد كلف مجموعة من المستشرقين بالكتابه فيه، واكتفى منه بالمقدمة والخاتمة.

(٢٣) عابد بن محمد السفياني. المستشرقون ومن تابعهم ومواقفهم من ثبات الشريعة وشمولها: دراسة وتطبيقا. ـ مكة المكرمة: مكتبة المنارة، ١٤٠٨هـ. ـ ص ١

(٢٤) نقلا عن المرجع السابق. ـ ص ١.

(٢٥) عمر عبيد أبوحسنة. في مقدمة كتاب عبدالعظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين. . ص ١٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عبر التاريخ الحافل بكل شيء حسن في معظمه، سيء في بعض مواضع منه، ولا بأس من وأد اللغة الأم وجعلها مقصورة على المعابد، وجعل لغات أخرى هي لغة المعاهد، فالفرنسية في المغرب، واالانجليزية في المشرق، وربما الروسية بينهما، حتى تصل لغة المعابد إلى مستوى غير مفهومة فيه، خاضعة للترديد دون إدراك للمعنى مع إدخال اللهجات فيها حتى يتم إحلالها محلها، فتتفكك الرابطة، ويصبح العربي في بلاده وأهله غريب اليد واللسان، وإن لم يكن غريب الوجه، ويصبح لزاما عليه أن يسير مع الركب وإلا صدقت عليه إداعاءات التخلف والرجعية، والتقوقع على الذات دون الإفادة من الثقافات الأخرى المحيطة بالمجتمع المسلم قديمه وحديثه. فأدى الخوف من الوصم بالتخلف والرجعية والتقوقع إلى أن يتبنى بعض أبناء المسلمين الثقافات الغربية عليهم وعلى مجتمعهم، واستدعى هذا التبني محاولة الانسلاخ من الماضي بإهانته والتقليل من شأنه وحصر آثاره على الوقت الذي ظهرت فيه هذه الآثار دون امتداد إلى المستقبل مما يستدعي ـ في نظر هؤلاء المنبهرين بالثقافة الغربية ـ السير في «ثقافة عالمية» قادمة من الغرب أومن الشرق.

وتلك ربما تكون نتيجة من نتائج إبعاد سلطان الدين من النفوس التي تأتي نتيجة من نتائج الفعل الاستشراقي.

وإذا سلمنا بأن العلم والثقافة لا تنتزع من الصدور انتزاعا ـ ونحن مسلِّمون بهذا ـ سلمنا بأن الوقت عامل مهم في تحقيق ذلك، ومع الوقت تأتي الجهود في تحقيق الهدف أو الغاية التي تدخل في الغاية الثانية التي مر ذكرها آنفا، وذكر أنها تسعى في النهاية إلى السيطرة على هذا الشرق سيطرة قد لا تكون بالضرورة مباشرة. وهذا متحقق إذا ما نزع العلم من الصدور[٢٦].

---

(٢٦) وهذا مستوحى من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لاينزع العلم من الناس بعد أن يعطيهم إياه، ولكن يذهب بالعلماء. وكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم، فيتخذ الناس رؤساء جهالا فيستفتوا فيفتوا بغير علم فيضلوا ويضلوا» انظر أحمد عبدالرحمن البنا. الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني. ـ ٢٤ج. ـ القاهرة: دار الشبهات، د.ت. ـ ١/ ١٨١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مشكلة البحث:

ومن أبرز الجهود على الساحة العلمية والثقافية الإسلامية اليوم قبل الأمس ولوج المستشرقين التراث والكتابة عنه دراسة وتحقيقا ونشرا وتبويبا وتصنيفا وتكشيفا، حيث وصلت مؤلفاتهم في فترة مائة وخمسين سنة (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م) إلى ما يربو على ستين ألفا بين كتاب ومقالة في الفلسفة والتاريخ والتصوف وتاريخ الأدب واللغة العربية[٢٧]. ونحن بحاجة اليوم إلى إحصاء ما كتبوه في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي[٢٨]. وهو عمل أسهل بكثير من إحصاء الناتج الفكري في الفترة السابقة، حيث تطورت أدوات الحصر الوراقي (الببليوجرافي) وانتشرت المعرفة بحكم تقنية المعلومات.[٢٩]

ويضاف إلى هذا إصدر أكثر من خمسمائة (٥٠٠) دورية ذات علاقة بالاستشراق، وإصدار أكثر من ثلاثمائة (٣٠٠) دورية متخصصة به[٣٠]. ومنهاما يحمل عنوانات لها جاذبية للمسلمين أنفسهم. أما المعاهد والمراكز التي تهتم بالاستشراق والدراسات العربية والإسلامية فهي اليوم تعد بالمئات في آسيا وأوربا واستراليا وأمريكا[٣١]. ونحن بحاجة إلى مزيد من التقويم الموضوعي لهذه المعاهد من خلال إسهاماتها، إذ لا يكفي

(٢٧) عبد العظيم الديب. المنهج في كتابات الغربيين. . ـ ص ٣٨.

(٢٨) انظر مناقشة هذه الفكرة عند عبدالستار الحلوجي. «المستشرقون والعمل البيليوجرافي» في: دراسات في الكتب والمكتبات. ـ جدة: مكتبة مصباح، ١٤٠٨هـ. ـ ص١٢١ ـ ١٢٩.

(٢٩) ويقوم معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت بحصر وراقي «ببليوجرافي» لكل ماكتب عن الإسلام بالألمانية. وقد ظهر من هذا العمل الضخم مجموعة من الأجزاء أشرف عليها الأستاذ فؤاد سزكين مدير المعهد.

(٣٠) عمر عبيد أبو حسنة. في تقديمه لكتاب عبدالعظيم الديب. المنهج في كتابات المستشرقين. ـ ص٢٢.

(٣١) انظر مثلا رودي بارت. الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية. وإسهامات أخرى فيما يتعلق بالروسية والانجليزية. ولعل آخر ماصدر في هذا المجال الحصر الذي قامت به الملحقية الثقافية السعودية في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث حصرت عدد المعاهد والمراكز المهتمة بالدراسات العربية والإسلامية في كل من كندا والولايات المتحدة الأمريكية فأوصلتها إلى مائة وثلاثين مركزاً وقسما. انظر سفارة المملكة العربية السعودية، الملحقية الثقافية بواشنطن. دليل برامج الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية. ـ واشنطن: السفارة الملحقية، ١٤١١هـ. ـ ٢٦٨ ص.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن نتخذ موقف المدافع الذي يترقب سهما فيحتمي دونه، أو رصاصة فيهرب منها، أو صاروخا فيطلق عليه آخر مضادا له! ولكننا في الحق لا ندري كيف نبدأ. هل نبدأ بتصحيح الأخطاء التي وقع بها المستشرقون عمدا أو عن غير قصد؟ إذاً لا نكون قد خرجنا عن موقف الدفاع. هل نتهجم على المستشرقين ونطلق عليهم عبارات بعيدة عن الروح العلمية القادرة على المواجهة والإقناع؟ إذاً نحن نغالط أنفسنا، لأن القوم مستمرون في طريقهم، ولاتصلهم رشاقتنا، هل نفتح باباً للحوار المباشر وننشر لهم أعمالهم ونعقد المؤتمرات معهم في ديارهم وفي ديارنا؟ وهنا نقف عاجزين إذا ما قابلناهم بالشعور أنهم متفوقون علينا، وتكون نظراتنا لهم نظرات المستجدي الذي يطلب من الطرف المتفوق عليه سماع ما لديه، ليس فقط الاستماع له من طرف واحد، وهنا تبرز أمامنا مشكلة الثقة، كما تبرز أمامنا مشاعر مختلطة قوامها أن القوم ضدنا، فهم يريدون التأثيرعلينا لا التأثر بنا. ويبدو أن المجال هنا غير محدد في مدى السماع منهم ولهم، ويبدو أن معظمهم قد حددوا موقفهم منا، فيقربون منا من يسير على نهجهم ويبدو عليه تأثيرهم، كما يبدو عليه شيء من القدرة على أن يسهم في هذا النهج[٣٢]. ولذا نراهم أبعدوا من دائرتهم ذلك الباحث الذي كتب رسالة الماجستير عن أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ كتابة إسلامية، فلم يتيحوا له الاستمرار في الدراسة ناصحين إياه أن يتوجه إلى (الأزهر) إذا كان سينظر إلى موضوعات الدراسة هذه النظرة[٣٣]. وكانوا يتوقعون منه أن يسهم في شيء يغير فيه النظرة ـ ولو قليلا ـ حول زوجات الرسول ـ عليه السلام ـ ؛ وبخاصة منهن من كان لها التأثير القوي على المجتمع المسلم إلى اليوم مثل «عائشة بنت أبي بكر الصديق»، و«خديجة بنت خويلد» ـ رضي الله عنهما ـ ومن كان لهن إسهام في رواية الحديث، فما استطاعوا أن يملوا على الباحث الكفيف وجهة نظرهم في هذا المجال. ولم يستطيعوا تشكيله ثقافيا في ضوء

(٣٢) وأزعم أن معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت بألمانيا يسعى إلى تحقيق هذه النظرة. كما أن هناك جهوداً بدأت السنة الماضية ١٤١١هـ تحاول إقامة مؤسسة علمية في ألمانيا. أيضاً، تسعى إلى قيام حوار مباشر مع المستشرقين. وهي في خطواتها الأولى. ولايدري مدى قدرتها على الوقوف على قدميها إذا لم تكن رؤيتها واضحة فتلقى الدعم والتشجيع المعنوي والمادي والمتابعة من قبل المهتمين بمثل هذه الجهود.

(٣٣) Farouq Mohamed El-Zayat. Mutter des Glaubigen Munchen. HKD Bavaria - Handels & Verlogs, (1982). 109s.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رؤيتهم المحدودة ولم يتمكنوا من أن يملوا عليه وجهة نظرهم بشكل أو بآخر[٣٤].

وإذ لم يوفقوا إلى كثير من التلاميذ العرب والمسلمين فإن هذا يعد عندهم هدفا ثانويا وإن كان يدخل ـ أيضاـ في الغاية الثانية المذكورة سلفا، ومع هذا فالأدبيات حول الاستشراق تتحدث عن التلاميذ وتذكرهم بالاسم، وتبين مدى تأثرهم بأساتيذهم من المستشرقين[٣٥].

وإذ لم يوفقوا إلى كثير من التلاميذ العرب والمسلمين فقد نجحوا في التأثير على مجتمعاتهم فيما يتعلق بالنظرة إلى الإسلام وإلى نظام الإسلام في الحياة. وكان التأثير منطلقا للنظرة إلى المجتمع المسلم المعاصر، حيث يبرز تأثر المثقفين العرب تأثرا غير مباشر بهؤلاء المستشرقين ، وإنما التأثر ينصب على الأفكار التي جاء بها المستشرقون فساحت وانتشرت آخذة سبلا وقنوات عدة في هذا التأثير، وكان هذا أسهل بكثير من التلقي المباشر لهذه الأفكار على أيدي المستشرقين وفي معاهدهم، فكان أن أسهموا في الفجوة بين المسلم وثقافته. وهذا واضح في كثير من الإسهامات التي اعتمدت على دراسات المستشرقين مراجع لها في مادتها العلمية.

وذكر أسماء مؤلفات بعينها متأثرة بهذه الدراسات قد يعني الحصر أو يوحي به، والحصر غير ممكن. وبالإمكان إعادة قراءة إسهامات «طه حسين» في السيرة والخلفاء الراشدين والوعد الحق، وإسهامات «أحمد أمين» في فجر الإسلام وضحاه وظهره ويومه، وغيرها كثير جدا إلى أن نصل إلى الأكثر منها سطحية مع بروزه ـ سياسيا ـ على

(٣٤) وهنا يقول عمر عبيد أبو حسنة. مرجع سابق ص١٧ : «لقد اهتم المستشرقون بالتشكيل الثقافي للأمة المسلمة في ضوء رؤية معينة، وخطة مدروسة، لذلك ولجوا جميع الميادين وحاولوا الوصول والتحكم بالموارد الثقافية كلها، وبحثوا ونقبوا وأثبتوا وجهة نظرهم، وتفسيرهم في الكثير من القضايا المعرفية إلى درجة يمكن معها القول: بأن الاستشراق استطاع أن يملي على الكثير منا وجهة نظره في مجالات متعددة بشكل أو بآخر، وإن كان مدى التأثير يختلف من شخص إلى آخر». ولعل صاحبنا هنا لم يخضع لهذا التشكيل.

(٣٥) انظر مثلا محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. ـ القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٥م. ـ ص ٨. وانظر أيضاً محمد أحمد دياب. أضواء على الاستشراق والمستشرقين. ـ القاهرة: دار المنار، ١٤١٠١هـ ـ ١٩٨٩م. ـ ص ١٤٧ ـ ١٥٩ . وقد ركزت كثير من الإسهامات على أبرز التلاميذ. وأظن أن الأمر ليس مقصوراً عليهم وحدهم فحسب، فالتلاميذ كثر البارز منهم وغيره.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الساحة وهو إسهام الكاتب المسلم الأصل الهندي المولد البريطاني الجنسية «سلمان رشدي» في روايته (آيات شيطانية). فهذا نموذج بارز وواضح التأثر، وإن كان التأثر قد صيغ بشكل غال جدا، ولكنه يذكر دائما بأعمال المستشرق البريطاني «مونتغمري وات» عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (محمد في مكة) و (محمد في المدينة) و (محمد النبي القائد). بل ربما ذهب الزعم إلى حد أن عنوان الرواية نفسه مستقى من فصل من فصول كتاب (محمد في مكة) إذ يأتي الفصل الخامس من الكتاب متحدثا عن تنامي المعارضة للرسول ـ عليه السلام ـ، وكل فصل من الكتاب مقسم إلى مباحث، والمبحث الأول من الفصل الخامس يركز على بدايات المعارضة The Begining of Opposition وفي هذا المبحث مما يتبع العنوان عبارة هي نفسها عنوان الرواية «The Satanic Verses» ويتحدث فيها «مونتغمري وات» عن قصة الغرانيق[٣٦]

أسئلة البحث :

وحيث فشا الاعتماد على إسهامات المستشرقين في مجالات عدة كالدراسات والتحقيق والنشر والتكشيف والفهرسة، فإن السؤال هنا ماهو مدى الاعتماد على هذه الإسهامات في الكتابة عن الإسلام والمسلمين؟ وما مدى عملية إسهامات المستشرقين في الحديث عن الثقافة الإسلامية؟ وهل يمكن الاعتماد على هذه الإسهامات مصدرا موثوقا من مصادر المعلومات عن الإسلام وعن تراث المسلمين؟ وهل تكتسب الأعمال العلمية التي يقوم باحثون مسلمون علمية أكثر إذا ما اقتبست من أعمال المستشرقين أو استشهدت بآرائهم؟ وهل بالإمكان قبول اقتباسات المستشرقين واستشهاداتهم من

(٣٦) W. Montgomery Watt. Muhammad at Mecca. Kqrachi. Oztord University Press, 1979, P. 100-109.

وقد تصدى للوقوف على هذا العمل مجموعة من المؤلفين المسلمين، وبينوا ارتباطه بالغايتين اللتين ورد ذكرهما آنفاً، انظر مثلا: فهمي الشناوي. من وراء سلمان رشدي: أسرار المؤامرة على الإسلام. القاهرة: المختار الإسلامي، د.ت. ـ ٦٣ ص. ومحمد يحيى. الآيات الشيطانية: الظاهرة والتفسير. القاهرة: المختار الإسلامي، د.ت. ـ ١٠١ص ورفعت سيد أحمد. آيات شيطانية: جدلية الصراع بين الإسلام والغرب. القاهرة: الدار الشرقية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٦ص. وأحمد ديدات. شيطانية الآيات الشيطانية وكيف خدع سلمان رشدى الغرب. ـ نقله إلى العربية وقدم له على الجوهرى. القاهرة: دار الفضيلة (١٩٩٠م) ـ ١١٢ص.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمهات الكتب العربية دون التوثيق أولا، اعتمادا على أن منهجيتهم في البحث والدراسة قد أملت عليهم قسطا كبيرا من التجرد والموضوعية؟ ثم هل يمكن الاستغناء عن إسهامات بعض هؤلاء المستشرقين في هذا المجال بعد أن يتبين للباحثين والدارسين المسلمين أخطاء كثيرة وقع فيها المستشرفون تحول دون قبول ما وصلوا إليه من نتائج؟ وهل يمكن تصحيح هذه الأخطاء من خلال حوار مباشر أو غير مباشر مع المستشرقين بعامة يُدعَون فيه إلى مزيد من الموضوعية ومن العلمية والتجرد؟ وهل المستشرقون قابلون لهذا الحوار ولديهم الرغبة في تصحيح الأخطاء التي وقع فيها أترابهم؟ أو عندهم الرغبة في عدم الوقوع فيها من خلال نقلهم عن أترابهم؟.

ولا يتوقع لهذه الوقفة أن تجيب إجابة شافية ومقنعة عن جميع هذه الأسئلة. ولعله يكتفى منها بإثارة الأسئلة والتدليل على إمكان الإجابة عن جزء منها سعيا إلى الاستمرار في الإجابة على جزء كبير منها، مع التأكيد على أن جهودا للمستشرقين تدخل في جانب الإسهامات المحمودة التي لا ينبغي إغفالها أو تناسيها، فلم تكن إسهامات المستشرقين كلهم سيئة أو متحاملة على تراث المسلمين وثقافتهم، وهذا في النهاية يؤدي إلى عدم القدرة على تعميم النتائج على ظاهرة الاستشراق. ولعل هذا سر من أسرار عدم الاتفاق بين الباحثين والدارسين والمفكرين والعلماء المسلمين على موقف موحد تجاه المستشرقين قدمائهم ومحدثيهم.

مصادر المعلومات عن التراث:

ومنذ انطلاقة التدوين، في بداية البعثة المحمدية ثم التجميع في عهد الخلفاء الراشدين ثم التصنيف والتبويب في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) إلى نهاية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، والمسلمون في رصد مستمر للتراث في أعمال موسوعية أو موضوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية والطبية والرياضية وسائر المعارف. ومنذ انطلاقة التدوين من قرطبة غربا إلى سمرقند شرقا والمكتبات الإسلامية مجال للتنافس بين الولاة والأمراء[٣٧] وهناك مظاهر كثيرة ذكرها دارسو التراث حول مجالات التنافس.

(٣٧) عز الدين إسماعيل. المصادر الأدبية واللغوية في الأدب العربي. ـ ط ٢. ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م. ـ ص ٣ ـ ٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وليس الغرض من هذه الوقفة استعراض الجهود العلمية للمسلمين، إذ سيدخل هذا في الجانب الدفاعي والاعتذاري الذي لجأ إليه بعض المتحمسين للثقافة الإسلامية عندما أرادوا أن يلفتوا أنظار الآخرين لها[٣٨]. ولكن الغرض من هذه الوقفة التأكيد على أن المعلومات التراثية كانت موضع اهتمام المسلمين أنفسهم ، على أقل تقدير في القرون الثمانية التي حددت بين القرنين الثاني والتاسع الهجريين، ومعظم الأعمال التي جاءت بعد القرن التاسع الهجري أخذت طابع الشروح والتعليقات والتلخيصات[٣٩] وكل ما يدور حول مصادر المعلومات عن التراث، إلى الوصول إلى التحقيق والنشر في القرنين الأخيرين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، مع عدم إغفال الجهود العلمية التي ابتُدئت ابتداءاً، ولكن الطابع العام في هذه القرون التالية كان يهمس إلى الدارسين والمؤلفين أنهم بطريقة أو بأخرى عالة على علماء السلف.

ولا يعني هذا أن الخلف لم يكونوا على مستوى التفكير وتأليف الأعمال العلمية ابتداءاً، ولو كان هذا المقصود لوقعنا في محظور هو مجرد ردة فعل لأولئك المتعلقين بالثقافات الحديثة على حساب الماضي. ولكننا نقدر هنا أن بعض الأعمال العلمية ذات الصبغة التراثية تستمد معلوماتها من مصادر التراث التي ألفها السلف في زمن النهضة العلمية، ثم أُخضع شيء منها للشرح أو الاختصار أو التعليق في زمن الشروح والاختصارات[٤٠]. فيأتي زمننا - وهو المعد زمن العودة إلى النهضة فيبتدىء أعمالا علمية تقر بالفضل لما أسهم به علماء السلف فتكون امتدادا لهذه الإسهامات.

ومع أن هذه الوقفة مع مصادر المعلومات عن التراث تحاول التأكيد على وجود الأساس، وهو المصادر إلا أنها لا تملك إلا أن تذكر للمستشرقين جهودهم في إظهار

---

(٣٨) Charles G. Adams. Islamic Religious Tradition.

انظر العرض عنه في دليل الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية. - مرجع سابق. حيث يقسم المؤلف المداخل لدراسة الإسلام إلى ثلاثة هي: المدخل التقليدي التبشيري، والمدخل الاعتذري، والمدخل السلبي. ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٣٩) السعيد الورقي. في مصادر التراث. - بيروت: دار النهضة العربية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. - ص ٨٦

(٤٠) سيد حامد النساج، رحلة التراث العربي. ط ٢. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥م. - ص ٣٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شيء من هذه المصادر خاصة في مجال النشر أو الطبع الابتدائي دون تحقيق [٤١]. إلا أن هذه الجهود تحتاج إلى تمحيص ودراسة متأنية يبين فيها مدى هذه الجهود ونوعية التركيز على المجالات. وفيما يلي من الصفحات إشارات سريعة إلى مثل هذا. وفيها وقفات على نماذج محدودة جدا من الدراسات ثم النشر والتحقيق فالترتيب والتكشيف، وعينات محدودة جدا كذلك من المنشور أريد منها التمثيل فقط. ولم يرد من هذا التعميم، ولكنها وقفات تفتح المجال إلى مزيد منها في سبيل الوصول إلى حكم قابل للتعميم مما يحتاج معه إلى مزيد من البحث والغوص والتحليل.

مصدرية الاستشراق:

والمقصود هنا هو مناقشة أعمال المستشرقين للنظر في مدى الاعتماد عليها مصدرا من مصادر المعلومات في الدراسات العربية والإسلامية. وهل تصل هذه الأعمال إلى درجة من الثقة يمكن معها الاستشهاد بها؟

وقد ذكرت أن قسطا من الإسهامات العربية في مجالات التراث قد بدا عليها التأثر غير المباشر، وكان لهذا التأثر أثره في الفجوة بين المسلم وثقافته. هذه الفجوة التي حفرها المستشرقون بالغوص في معلومات التاريخ ينقلونها من مصادر معلومات عربية معتمدة عندنا على أنها من «أمهات الكتب» ولكنهم بغوصهم هذا يتعمدون سوء النقل وسوء الاقتباس وسوء الاستشهاد ضاربين صفحا عن مفهومات علمية كالأمانة والدقة والتجرد والموضوعية.

وهم بهذا يلجأون إلى المعلومات الغربية غير الموثقة في أمهات الكتب العربية فيتكئون عليها. وتراهم يحيلونك إلى المصادرالتي يستشهدون بها أو يقتبسون منها ببياناتها الوراقية (الببليوجرافية) التامة، فتعود إلى هذه الإحالات في هذه المصادر فلا تجد لها أثرا فيها، أو ربما يتبين لك عندما تعود للموضع المستشهد به أو النص المقتبس منه أنه على خلاف تام ومناقض للمقصود من الاستشهاد أو الاقتباس. أو ربما يتبين

(٤١) السعيد الورقي. في مصادر التراث. ص ٨ ـ ٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن في الأمر تحريفاً أو تصحيفا مع الرجوع إلى المصادر العربية التي تترك عند القاريء أثرا بأن المستشرقين قد اعتمدوا على مصادرنا في تعضيد أفكارهم التي يسعون إلى الإتيان بها. أو تراهم من وجه رابع يسعون إلى تفسير بعض المعلومات بما يؤمنون به هم أو بما يريدونه من المتلقين أن يؤمنوا به إزاء معلومات حول حادثة تاريخية لها مساس بالثقافة والخلفية الفكرية والعلمية التي يتبناها المسلم في حياته. وكل هذه الأساليب لها أمثلة في الإنتاج الفكري للمستشرقين، وتساق لها أمثلة هنا. وربما دعا الأمر إلى الوقوف على كل أسلوب على حده ودراسته دراسة واسعة والخروج بالنتيجة التي تمليها الدراسة وتجيب على سؤال من أسئلة البحث، فيصدق السؤال البحثي ، أو تثبت عدم صحته. وهذه نماذج لما ينبغي أن تكون عليه الدراسة أو لما يتوقع أن تكون عليه الدراسة.

في مجال الدراسات:

١ ـ كتاب (النظام والفلسفة والدين في الإسلام) لهاملتون جب[٤٢] مليء بالمغالطات التي لا تغيب عن ذهن القاريء العادي. ومع أنها تحتاج إلى وقفة طويلة مستقلة إلا أن هذه ومضات سريعة لما يذكره المؤلف المستشرق حول القرآن الكريم، والرسول الكريم ـ عليه السلام ـ يقول:

أ ـ «سأتحدث في المقالة الثانية عن المسارب الجديدة التي يسرها القرآن للطاقات الشعورية والخيالية لدى العرب[٤٣] وعن أثرها في المواقف الدينية الإسلامية. أما في هذا المقام فإن ما يهمنا هو جمهور العرب الوثنيين الذين تقبلوا التعاليم القرآنية دون أن يتخلوا تمام التخلي عن معتقداتهم القديمة. فكان ما حققه محمد لديهم هو أنه فرض قوة سيطرة عليا باسم (الله القوي المتعال)[٤٤]

(٤٢) هاملتون جب. النظم والفلسفة والدين في الإسلام. ـ دمشق: المركز العربي للكتاب، د.ت ـ ١٠٨ ص.

(٤٣) جرت عادة المؤلفين في الغرب على استعمال لفظ «السرسان» للمسلمين العرب وغيرهم، واستعمل المستشرقون الأوائل «المحمديين» وتطور الاستعمال واختلف من بلد أوربي إلى آخر حتى استقر على لفظ «الأتراك» بمعنى المسلمين منذ القرن الخامس عشر الميلادي في أوروبا، ولفظ «الموريسكو» في أسبانيا. واختلف الاستعمال بعد ذلك في أوروبا من الخلط الموجود بين العرب وغير العرب في الاستعمال الاستشرافي الآن.

(٤٤) الأولى المتعالي، وهذه من هنات المترجم الذي لم يفصح عن اسمه رغم الجهد الذي قام به.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجعلها فوق ما عندهم من حصيلة (نسميه)[٤٥] وبذلك ظل الموروث العربي القديم قائما تحت هيمنة ذلك القادر الأعلى، وظل لديهم إيمانهم بالسحر وبالقوى الغيبية ، وبخاصة الشرير منها كالجن وبالقرينة أو التابع ـ كل هذه المعتقدات وأشباهها ظلت قائمة مصبوغة بصبغة إسلامية تكثف هنا أو ترق هناك، لتلعب دوراً كبيرا في أفكار المسلمين من العالم»[٤٦].

ب ـ «وبما أن كل دين يظل في قاعدته مرتبطا بالحياة التخيلية فإنه لا يستطيع أن يمس الروح دون توجه نحو الحواس والمشاعر. وإذا لم تكن الحواس متنبهة، ولم تستثر شعائره ورموزه استجابة شعورية بقي الدين هيكلا من التعاليم العقائدية والأخلاقية. وظل مفتقرا إلى الروح والرؤى، ليس الفن فحسب خادما للدين ، بل هو حارس قدس أقداسه.

وذلك هو الحال أيضا بالنسبة للمسلم ، فالذي يمنح القرآن قوة على تحريك قلوب الناس وتشكيل حياتهم ليس محتواه من مباديء ونذر[٤٧] وإنما هو سياقه اللفظي، إذ يتكلم كأسفار النبوءات في التوراة بلغة الشعر [٤٨] وإنما لم يخضع لقيود الشعر من وزن وقافية»[٤٩].

ج ـ «إن الكنيسة المسيحية لجأت إلى عون الموسيقى لتعلي من التوتر الشعوري في الصلوات، وإن الإسلام كذلك طور في القراءة المرتلة للقرآن كي يشحذ من قدرته على اجتذاب الخيال والشعور. والفرق بين الفنين الموسيقيين لدى الدينين لافت للنظر حتى إنه يستحق أن يكون موضع تحليل ممتع. ولكنه

(٤٥) النسمية استخدمها المترجم تتقابل كلمة Animism بالإنجليزية وهي تعني الاعتقاد بأن كل كائن موجود أو مخلوق من حيوان أو إنسان أو جماد وريح ونبات وما إلى ذلك له روح، وأن هذه الأرواح توجد منفصلة عن الأجساد.

(٤٦) هاملتون جب. النظم والفلسفة والدين في الإسلام. ـ ص ٥٨.

(٤٧) لو قال «فحسب» لما احتاج المرء معه إلى وقوف.

(٤٨) جرت عادة كثير من المستشرقين التأكيد على اقتباس القرآن الكريم من الكتب السماوية والثقافات السابقة كما سيأتي بيانه.

(٤٩) المرجع السابق ـ. ص ٧٣ ـ ٧٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يجب ألا يحجب وجه الحقيقة هنالك، وهي أن الغاية القصوى واحدة في الحالتين[٥٠].

د ـ «سعينا في الفصل السابق[٥١] لنبين أن القرآن سجل لتجربة محمد الحدسية من ناحية. وأنه المنبع الذي يعود إليه المسلم بين الحين والحين لينعش رؤاه الروحية من ناحية أخرى»[٥٢].

هـ ـ «في التصوف قاعدة فعالة هي قدرته على استثمار التجربة الدينية على نحو منظم، وهو ينشأ كعلم الكلام في مرحلة راقية من مراحل التطور الديني. ولم يكن في القرن الأول من تاريخ الإسلام متكلمون أو متصوفة، ففي ذلك القرن كانت الجماعة الدينية المسلمة تمثل نوعاً من المجتمع الأخلاقي القائم على المبادىء المحسوسة حول الله واليوم الآخر، وعلى الواجبات الدينية المحسوسة التي وردت في القرآن»[٥٣].

و ـ «وأنا أرى أن وحدة الوجود ـ شبه الإسلامية ـ تحاول النقيض التام لما أخذ محمد نفسه بتحقيقه، فقد حاول حين واجهته عقائد النسمية العربية أن يحكمها فجاء بفكرة إله منزل متعال على العالم المادي الذي خلقه، وحرم عبادة أي مخلوق، وعرف في الوقت نفسه من تجربته الصوفية[٥٤] أن الله أيضا موجود في العالم الذي خلقه على نحو خفي لا يستطاع التعبير عنه»[٥٥].

وإذا خلت هذه الاقتباسات من التعليق التحليلي فإنما ذلك عائد إلى الوضوح في الخلط الذي لجأ إليه المؤلف مما جعله يوحي به كالمسلمات.

---

(٥٠) المرجع السابق، ص ٧٤.

(٥١) جعله المترجم داخلا تحت عنوان «مبنى الفكر الدينى في الإسلام» ووزعه إلى أربع فقرات، الثانية منها محمد والقرآن ص ٦٦ ـ ٧٧.

(٥٢) المرجع السابق. ـ ص ٧٨.

(٥٣) المرجع السابق، ص ٩٣.

(٥٤) كان المؤلف قد ذكر في الفقرة السابقة أن القرن الأول من تاريخ الإسلام كان خالياً من المتكلمين والمتصوفة.

(٥٥) المرجع السابق، ص ٩٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ ـ يحدد «ولفرد سميث»[٥٦] في كتابه (الإسلام في التاريخ الحديث) معنى الدين بقوله: «العرب لا يدركون كنه الإسلام الحقيقي، فهناك ثلاثة أنواع من الدين الإسلامي: دين القرآن، ودين العلماء، ودين الدهماء، ويتسم النوع الجديد (الأخير) منها بالخرافة والجمود، أما الثاني (دين العلماء) فمثقل بتراث قديم عقيم، وهو بعد ذلك غير عصري، ومادته صعبة تقضي على الإنسان ألا يتصرف في أي شيء إلا بحسب فتوى العلماء. وقد تخلصت تركيا من هذا النوع الثاني، ووجدت أن الوقت قد حان للقضاء عليه. وبذلك كان الأتراك قادة العالم الإسلامي[٥٧] ومازال العرب وغيرهم من الحمقى مقيدين في تفكيرهم بأن تركيا تركت الإسلام، وهذا غير صحيح[٥٨].

٣ ـ ويربط المستشرق «مورو بيرجر»[٥٩] في كتابه (العالم العربي اليوم) بين الدين والبيئة. فإذا تطورت البيئة تطورت القيم، فالشريعة الإسلامية نشأت متأثرة بالبيئة العربية من حيث اهتمامها بالكرم عندما عندما كانت البيئة بدوية رعوية، هذه البيئة التي قامت على الحاجة إلى الأمطار فنشأت فيها سجية الخوف من الله الذي يحجب المطر فيحل بالقوم جوع ومرض وموت. والقصاص جاء ليشبع مفهوم الثأر في المجتمعات الصحراوية. وهذه كلها تتطور في المجتمع الصناعي «الذي عرف شيئا كثيرا عن تطبيقات علم النفس والمباديء الإنسانية فلم يحتج إلى مبدأ القصاص لأنه سيراعي جانب المجرم»[٦٠] ولم يعد يهتم بالخوف من الله

---

(٥٦) ولفرد سميث (مولود ١٩١٦) مستشرق كندي تخرج في برنستون. درس في كندا وإنجلترا والولايات المتحدة، والكتاب نشرته جامعة برنستون سنة ١٩٥٧م. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون ـ ٣/١٨٢.

(٥٧) الواضح أن العثمانيين كانوا قادة العالم الإسلامي امتداداً للخلافة الإسلامية. والخلط هنا في قيادة العالم الإسلامي أثناء الخلافه العثمانية وانتهاء الخلافة الإسلامية في تركيا على يد القوميين الأتراك. فالواقع يكذب (ولفرد سميث) فتركيا تحت الخلافة العثمانية كانت أشد حالاتها ضعفاً أقوى منها الآن. وما ذلت تركيا ولاعانت ولا صغرت إلا عندما تخلت عن الإسلام.

(٥٨) عابد بن محمد السفياني، المستشرقون ومن تابعهم ومواقفهم من ثبات الشريعة وشمولها. ـ ص ٩.

(٥٩) مورو بيرجر مستشرق يهودي أمريكي عمل في جامعة برنستون كما عمل مع مؤسسة براند التجسسية في الولايات المتحدة الأمريكية.

(٦٠) عابد بن محمد السفياني، مرجع سابق. ـ ص ٥٢.

شبكة الألوكة ـ قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأن وسائل الحصول على الماء متوافرة، ولم يعد بحاجة إلى الكرم، لأن كلا مشغول بحياته المتطورة، وهكذا يبدو التبرير لتطوير الدين ونقل القيم حسب البيئات.

٤ ـ في مادة «إجماع» في (دائرة المعارف الإسلامية)[٦١] يذكر المستشرق الأمريكي «دونكان بلاك ماكدونالد»[٦٢] أن ما كان في أول الأمر بدعة أصبح بفضل الإجماع أمرا مقبولا نسخ السنة الأولى. فالتوسل بالأولياء مثلا صار عمليا جزءا من السنة، وأعجب من هذا أن الاعتقاد بعصمة النبي قد جعل «الإجماع» ينحرف عن نصوص واضحة في القرآن، فلم يقتصر الإجماع هنا على تقرير أمور لم تكن مقررة من قبل فحسب، بل غير عقائد ثابتة وهامة جدا تغييرا تاما. وعلى هذا فهم يقولون إن المسلمين يستطيعون أن يجعلوا من الإسلام ما شاؤوا على شريطة أن يكونوا مجتمعين. على أن الآراء غير متفقة فيما يمكن أن يكون له شأن كبير، على خلاف «سنوك هورجرنيه»[٦٣] الذي يرى أن (الفقه) قد جمد، ولذلك لا رجاء في الإجماع[٦٤].

٥ ـ عني المستشرقون بترجمة معاني القرآن الكريم، ووضعوا للترجمات مقدمات لهم تحدثوا فيها عن القرآن الكريم من حيث طبيعته ومصدره[٦٥]. وكمثال على ذلك

(٦١) إلى الآن لم يوفق العرب والمسلمون إلى إصدار دائرة معارف إسلامية موثوقة، أو موسوعة عربية مؤصلة. انظر مناقشة هذه الفكرة في العمل الذي قام به نسيم الصمادي، دائرة المعارف العربية. أزمة فكر لا أزمة نشر. ـ عمان: دار الكرمل، ١٩٨٨م. ـ ٨٥ص.

(٦٢) مستشرق أمريكي (١٨٦٣ ـ ١٩٤٣م). كان صديقاً لنيكلسون. أسهم في إنشاء المعاهد والدوريات بمعاونة زويمر وسارتون. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ ٣/١٣٦ ـ ١٣٧.

(٦٣) كريستيان سنوك هورجورنيه (١٨٥٧ ـ ١٩٣٦م) مستشرق هولندي تعلم في ليون على «دي خويه». وعلى «نولدكه». ورحل إلى جاوة، وزار مكة المكرمة متسميا بعبد الغفار ووضع في الحج كتاباً، وله آثار أخرى. انظر قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٨٣هـ ـ ١٩٨٣م. ـ ص ١١٠ ـ ١٣٧.

(٦٤) د. ب. ماكدونالد. «إجماع» في دائرة المعارف الإسلامية ـ يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبدالحميد يونس. ـ بيروت: دار المعرفة، د.ت. ـ ١/٤٣٨ ـ ٤٤٠.

(٦٥) بدأت فكرة ترجمة معاني القرآن الكريم في القرن الأول الهجري ـ السابع الميلادي، وترجمت المعاني إلى مايربو =

شبكة الألوكة ـ قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول «جورج سيل»[٦٦] في مقدمة ترجمة لمعاني القرآن الكريم التي صدرت سنة ١٧٣٤م: « أما أن محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل. وإن كان المرجح ـ مع ذلك ـ أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته لم تكن يسيره. وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك[٦٧].

ويوصف «سيل» بأنه نصف مسلم نظرا لاهتمامه البالغ بالإسلام، وقد صادفت مقدمته هذه « التي جزم فيها بتأليف محمد للقرآن نجاحا عظيما في أوربا، الأمر الذي أدىٰ بمستشرق آخر هو «كاسميرسكي»[٦٨] أن يجعل من مقدمة «سيل» مقدمة لترجمته الفرنسية لمعاني القرآن الكريم التي صدرت عام ١٨٤١م. وقد استطاعت هذه المقدمة أن تثبت وجودها زمنا طويلا جدا كمصدر علمي موثوق به لدى المستشرقين من حيث اشتمالها على عرض شامل للدين الإسلامي»[٦٩].

ومسألة مصادر معلومات القرآن الكريم واستعانة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمصادر معلومات الثقافات السابقة كالنصرانية واليهودية وغيرها مما ظهر

على مائة وإحدى وعشرين لغة في أنحاء العالم منها ثمانى لغات أوروبية هي الألمانية والإنجليزية والإيطالية والروسية والفرنسية والإسبانية واللاتينية والهولندية على الترتيب حسب عدد الترجمات. انظر مناقشة ترجمات معاني القرآن الكريم في: محمد صالح البنداق. المستشرقون وترجمة معاني القرآن الكريم. ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٨٣هـ ـ ١٩٨٣م. ـ ٢٤٠ص.

(٦٦) جورج سيل (١٦٩٧ ـ ١٧٣٦م) بفتح السين. مستشرق إنجليزي. هوى الاستشراق واشتد اهتمامه بالإسلام. مقدمته لترجمة معاني القرآن الكريم هي «بمثابة مقالة إضافية عن الدين الإسلامي حشاها بالإفك واللغو والتجريح» انظر نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ ٢/٤٧.

(٦٧) محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر، ١٤٠٤هـ. ـ ص ٨٣ (سلسلة كتاب الأمة/٥).

(٦٨) البر كاسميرسكي (١٨٠٨ ـ ١٨٨٧م) مستشرق بولوني، كتب بالفرنسية، متهم في أمانته العلمية. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ ٢/٤٩٨ ـ ٤٩٩.

(٦٩) محمود حمدي زقزوق. الإسلام في تصورات الغرب. ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ. ص ٢٣ ـ ٢٤. وانظر للمؤلف الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ ص ٨٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

به المستشرقون مسألة متداولة بين المهتمين بمصادر المعلومات عن الإسلام. وقد أعاد المستشرقون المعلومات في القرآن الكريم إلى مصادر وزعت توزيعا عجيبا على الحضارات والثقافات السابقة. ويزعم المستشرقون أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد ألف القرآن مستعينا بهذه المصادر على النحو التالي:

أ ـ استعان بالمصادر الجاهلية في فكرة صلاة الجمعة، وصوم عاشوراء، وتطييب البيت الحرام وحظ الذكر في الميراث مثل حظ الأنثيين، والتكبير، والأشهر الحرم، والحج والعمرة، ونتف الإبط، وحلق العانة، والوضوء. والاغتسال، والختان، وتقليم الأظافر.

ب ـ واستعان بالمصادر الصابئة في مسألة الصلوات الخمس، والصلاة على الميت، وصيام شهر رمضان المبارك، والقبلة، وتعظيم مكة المكرمة، وتحريم الميتة ولحم الخنزير، وتحريم الزواج من القرابات.

ج ـ واستعان بالمصادر الهندية والفارسية في المعلومات عن المعراج، والجنة والحور والولدان والصراط.

د ـ واستعان بالمصادر اليهودية في المعلومات عن قصة هابيل وقابيل، وقصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ. وقصة ملكة سبأ، وقصة يوسف ـ عليه السلام ـ.

هـ ـ واتكأ الرسول ـ عليه السلام ـ على المصادر النصرانية في استقاء المعلومات عن قصة أهل الكهف، وقصة مريم ـ عليها السلام ـ، وقصة وقصة طفولة المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ.[٧٠]

٦ ـ وفي (قصة الحضارة) يقول «ول ديورانت» عن الرسول ـ عليه السلام ـ: «وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء جميع واجبات الحب والحرب. ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره، وظن أن يهود خيبر قد دسوا له السم في

(٧٠) إبراهيم خليل أحمد. الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية. ـ القاهرة: مكتبة الوعي العربي، (١٩٧٣م). ـ ص٦٧ ـ ٦٨.

شبكة الألوكة ـ قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللحم قبل عام من ذلك الوقت، فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة، وتقول «عائشة» إنه كان يخرج من بيته في ظلام الليل ويزور القبور، ويطلب المغفرة للأموات، ويدعو الله لهم جهرة ويهنئهم على أنهم موتى»[٧١].

ولم يكن دس السم ظنا، بل هو مشهور وموجود في مصادر المعلومات عن السيرة النبوية، فقد أورده «ابن هشام» في سياق غزوة خيبر[٧٢] وأورده ابن سعد في الطبقات[٧٣] ورواه البخاري ومسلم وأحمد وأبوداود والدرامي[٧٤].

٧ - وينقل عن «جولدتسيهر» قوله عن «زياد بن عبدالله البكائي» نقلا عن وكيع : أنه مع شرفه كان كذوبا. وقد جاء في التاريخ الكبير للإمام البخاري - رحمه الله - قوله عن زياد: «وقال ابن عقبة السدوسي عن وكيع إنه (أي زياد) أشرف من أن يكذب[٧٥].

---

(٧١) ول ديورانت. قصة الحضارة. - مج٤، ج٢ - ترجمة محمد زيدان. - بيروت: الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، د.ت. - ص ٤٦.

(٧٢) عبد الملك بن هشام المعافري. السيرة النبوية لابن هشام. - القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت. - ٢١٨/٣.

(٧٣) وعند ابن سعد قوله عن غزوة خيبر: «وفي هذه الغزاة سمت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهدت له شاة مسمومة فأكل منها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وناس من أصحابه فيهم بشر بن البراء بن معرور فمات منها» محمد بن سعد. الطبقات الكبرى. - ، ج. - بيروت: دار صادر، ١٤٨٥هـ - ١٩٨٥م. - ١٨٧/٢.

(٧٤) ونصه في مسند الإمام أحمد «عن أنس بن مالك أن يهودية جعلت سما في لحم ثم أتت به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأكل منه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إنها جعلت فيها سما. قالوا ألا نقتلها؟ قال: لا قال: فجعلت أعرف ذلك في لهوات رسول الله - صلى الله عليه وسلم -» انظر أحمد عبد الرحمن البنا. الفتح الرباني ٦٦/٢٢.

(٧٥) مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. - ط ٢. - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٦هـ. - ص ٢٣٠ - ٢٣١. وينقل الذهبي عن عبدالله بن إدريس قوله: «ماأحد في ابن إسحاق أثبت من زياد البكائي لأنه أملى عليه مرتين» انظر محمد بن عثمان الذهبي. سير أعلام النبلاء. - ٢٣ مج. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٨٢هـ - ١٩٨٢م. - ٥/٩ - ٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٨ ـ وينقل عنه كذلك قوله عن الزهري: «قد كانت تقواه تجعله يشك أحيانا، ولكنه لا يستطيع دائما أن يتحاشى تأثير الدوائر الحكومية، وقد حدثنا معمر عن الزهري بكلمة مهمة وهي قوله: أكرهنا هؤلاء الأمراء على أن نكتب أحاديث». وعن ابن عساكر وابن سعد أن الزهري كان يمتنع عن كتابة الأحاديث للناس فأصر عليه هشام أن يملي على ولده فأملى عليه أربعمائة حديث، وخرج على الناس وناداهم أن «كنا قد منعناكم أمرا قد بذلناه لهؤلاء، وأن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث فتعالوا حتى أحدثكم بها، فحدثهم بالأربعمائة حديث»(٧٦). والفرق هنا بين كلام «جولدتسيهر» وكلام «الزهري» أن «جولدتسيهر» حذف أداة التعريف من «أحاديث».

٩ ـ ويقول «ول ديورانت» في (قصة الحضارة): وكان «للزبير» بيوت في عدة مدن مختلفة وكان يملك ألف جواد وعشرة آلاف عبد، وكان عبدالرحمن يمتلك ألف بعير وعشرة آلاف رأس من الضأن، وأربعمائة ألف دينار (١,٩١٢,٠٠٠) دولار، وكان عمر ينظر بحسرة إلى الترف الذي أخذ مواطنوه يتردون فيه(٧٧).

وأصل النص في المصادر الإسلامية: «كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه خراجهم كل يوم، فما يدخل إلى بيته منها درهما واحدا يتصدق بذلك كله»(٧٨).

---

(٧٦) عبد العظيم الديب. المستشرقون والتراث. ـ المحرق (البحرين): مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م. ـ ص ٣٠ ـ ٣١. ويقول الأستاذ فؤاد سزكين: «وبدون أن يفهم جولدتسيهر المعنى الدقيق لمصطلح «كتاب» أو «كتابة» فقد أخطأ في تفسيره لعبارة الزهري: كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا ألا نمنعه أحدا من المسلمين». وقد فهم جولدتسيهر من هذا النص أن الزهري اعترف بأنه ـ على هذا النحو ـ قد مكن الأمويين من الحصول على ذرائع دينية تخدم مصالح أسرتهم الحاكمة». انظر فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي ـ ١ ـ. ـ المجلد الأول، الجزء الأول في علوم القرآن والحديث. ـ نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ. ـ ص ١٤١.

(٧٧) ول ديورانت. قصة الحضارة. ـ مرجع سابق. ـ ص ٧٧. وذكره عبد العظيم الديب في المستشرقون التراث. ـ ص ٣٢ ـ ٣٣.

(٧٨) انظر على سبيل المثال ابن الأثير، علي بن محمد الجزري. ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة. ـ ٦ ج. ـ د.م: الفكر. د.ت. ـ ٢/٩٩.

شبكة الألوكة ـ قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠ ـ ويقول نفسه عن «هارون الرشيد» وعلاقته بـ «جعفر البرمكي»: «وكان هارون الرشيد يحب جعفرا حبا أطلق ألسنة السوء في علاقتهما الشخصية، ويقال إن الخليفة أمر بأن تصنع له جبة ذات طوقين يلبسها هو وجعفر معا فيبدوان كأنهما رأسان فوق جسم واحد، ولعلهما في هذا الثوب يمثلان حياة بغداد الليلية»[٧٩] وقبل هذا قال عن هارون الرشيد: «وإنه كان يحج إلى مكة مرة كل عامين»[٨٠] والمشهور في مصادر المعلومات الإسلامية أنه كان يحج سنة ويغزو سنة[٨١].

١١ ـ وفي كتاب (السيطرة العربية) لفان فلوتن[٨٢] رواية عن الطبري (٢/٨٠٦) يقول فيها: «ولقد أصابت الأسر المرموقة في الكوفة ثراء فاحشا كان مصدره المغانم والأعطيات السنوية، فكان الكوفي إذا ما ذهب إلى الحرب يصطحب معه أكثر من ألف من الجمال عليها متاعه وخدمه»[٨٣] وعبارة الطبري جاءت على لسان «قيس بن الهيثم» أحد أصحاب «مصعب بن الزبير» يرغب أهل

(٧٩) ول ديورانت، قصة الحضارة. ـ مرجع سابق. ـ ص ٩٢. وذكره عبد العظيم الديب في المستشرقون والتراث. ـ ص ٣٤ ـ ٣٦.

(٨٠) المرجع نفسه، ص ٩١.

(٨١) انظر إشارة إلى هذا عند أحمد أمين. هارون الرشيد. ـ القاهرة: دار الهلال ١٩٥١م. ـ ١٣٧٠هـ. ـ ص ٢١٩. مع أن الكتاب كله فيه رائحة التأثر بآراء المستشرقين حول الرشيد وحاضرة الإسلام بغداد والحضارة الإسلامية رغم عدم وجود مراجع للكتاب تدل على هذا الحكم نفياً أو إثباتاً. ولكننا تعودنا من أحمد أمين هذا التأثر في أعماله المشهورة التي مر ذكرها في بداية هذه الوقفة. وعند الذهبي أنه «كان يصلي في خلافته كل يوم مائة ركعة إلى أن مات، ويتصدق بألف، وكان يحب العلماء ويعظم حرمات الدين، ويبغض الجدال والكلام، ويبكي على نفسه وهفوه وذنوبه، لاسيما إذا وعظ». انظر محمد بن شاكر الكتبي فوات الوفيات. والذيل عليها. ـ ٥ ج. ـ تحقيق إحسان عباس. ـ بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٤م. ـ ٤/٢٢٥ ـ ٢٢٧. وكان قد مات ـ رحمه الله ـ في غزوة من غزواته بخراسان في ٣/٦/١٩٣هـ وقبره بمدينة طوس.

(٨٢) ج. فان فلوتن (١٨٦٦ ـ ١٩٠٣م). ذكره نجيب العقيقي مع المستشرقين الهولنديين. وذكر آثاره ولم يذكر منها كتاب (السيطرة العربية) وذكر من آثاره كتاب (الفتح العربي وبعض العقائد في عصر الأمويين). انظر: المستشرقون. ـ ٢/٣١٦ ـ ٣١٧. ويذكر قاسم السامرائي أن وفاته كانت سنة ١٩٠٢م وأنه تلميذ «دي خويه». انظر: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. ـ ص ١٢٣. وذكره عبدالرحمن بدوي وأشار إلى كتابه بعنوان: (أبحاث في السيطرة العربية والتشيع والعقائد المهدوية في عهد الخلافة الأموية). انظر: موسوعة المستشرقين. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م. ص ٢٨٥.

(٨٣) عبد العظيم محمود الديب، المنهج في كتابات الغربيين. . ـ ص ٧٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العراق في القتال ويبين لهم حسن معاملة «ابن الزبير» لهم، يقول: «والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة، ولقد رأيتنا في الصوائف أحدنا على ألف بعير، وإن الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه»(٨٤) فالواحد من أهل الكوفة قائد للجيش يأتمر له أكثر من ألف مقاتل، ولا يصطحب معه ألف جمل عليها متاعه وخدمه!!.

تلكم أمثلة متناثرة تروى عن المستشرقين، ومنهم المشهورون المعروفون، ويطول بنا المقام لو أردنا المزيد من الأمثلة والوقفات. ولو تتبعنا إصدارات المستشرقين لما استطعنا الوقوف عند حد. والأولى من هذا كله أن تبحث دراسات كل مستشرق على حده، ويحلل مضمون ماقاله، وتقابل استشهاداته المرجعية بالمصادر التي رجع إليها، وخاصة منها ما يتصل بالاقتباس أو الاستشهاد بمصادر المعلومات الإسلامية، وعندئذ يستطيع المرء الخروج بأحكام موثقة لها ما يدعمها.

وفي سبيل الوصول إلى هذا يمكن الاستعانة بالحصر الذي أسهمت به الدراسات حول الاستشراق فيما يتعلق بمواقف المستشرقين من المعلومات الإسلامية ومصادرها التاريخية والدينية والأدبية وغيرها من المصادر. والحصر هذا محاولة لوضع مجالات اتسمت بها إسهامات المستشرقين، ومن هذه المجالات على سبيل المثال:

(أ) ـ الخضوع للأهواء وعدم التجرد للبحث.

(ب) ـ العجز عن تمثل الثقافة واللغة.

(جـ) ـ التعسف في التفسير والاستنتاج.

(د) ـ التفسير بالإسقاط.

(هـ) ـ منهج العكس.

(و) ـ التشكيك في الدليل القاطع.

(ز) ـ التحريف والتزييف والادعاء.

---

(٨٤) ابن جرير الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ـ ٦ج. ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣م. ـ ٦/١٥٧. والمقصود بـ (٢/٨٠٦) في نقل «فان فلوتن» الورقة السادسة بعد الثمانمائة من الجزء الثاني من المخطوط.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(ح) ـ إصدار الأحكام القاطعة دون دليل يعضدها.
(ط) ـ الاختلاق والتمـــويه[٨٥].

ويقـول أحـد المسهمـين في الـدراسات الاستشراقية عن واحد من أبرز أعلام المستشرقين وهو المستشرق «هنري لامانس»[٨٦] : «وأبشع ما فعله خصوصا في كتابه (فـاطمـة وبنـات محمد) هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها. وقد راجعت معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها فوجدت أنه إنما يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقا في هذه الكتب ، أو يفهم النص فهما ملتويا خبيثا، أو يستخرج إلزامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن وخبث النية، ولهذا ينبغي ألا يعتمد القارىء على إشارته إلى مراجع، فإن معظمها تمويه وكذب وتعسف في فهم النصـوص. ولا أعـرف باحثا من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النية»[٨٧].

وكلام عبدالرحمن بدوي هذا له وزنه لأنه يأتي من باحث اشتهر عنه تعاطفه مع المستشرقـين وميله إلى الإعجـاب بإسهاماتهم في مجالات الدراسة والتحقيق والنشر والتصنيف. وهذا يجر إلى تتبع مستشرقين بأعينهم ـ كما مر ذكره ـ من خلال إنتاجهم الفكري للنظر في مدي مطابقة هذه المجالات التسعة أو بعضها عليهم. ويمكن أيضا أخذ عينة متحيزة منهم ممن درس أو كتب في سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، بل إن الوقوف على كتب «مونتجمري وات» الثلاثة حول حياة محمد ـ عليه السلام ـ

(٨٥) عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات المستشرقين ـ ص ٧ ـ ١٢٥. وقد أورد المؤلف أمثلة لكل مجال من المجالات، فيعاد إليها للاستزادة، وبعضها مبثوث في هذه الوقفة مأخوذ عن المؤلف. وانظر أيضاً: عماد الـدين خليل. «المستشرقـون والسـيرة النبـوية». ـ في: الإسـلام والمستشرقون. ـ تأليف نخبة من العلماء المسلمين. ـ جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ ـ ص ٢٧٤.

(٨٦) الأب هنري لامانس (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧م) مستشرق بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام. «يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها». تعلم في الكلية اليسوعية ببيروت، وعلم فيها، أدار مجلة «المشرق» ومجلة تنصيرية اسمها «البشير» كتب في السيرة والخلافة الأموية. انظر عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. ـ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٩.

(٨٧) عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. ـ ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(محمد في مكة)، و (محمد في المدينة)، و (محمد النبي القائد)، موضوع يستحق المتابعة.

وهكذا نجد أن المجال واسع في تقرير ادعاء أو اتهام أو فرضية ، أو الإجابة على أسئلة تقوم على تحقق المجالات التسعة في المستشرقين، أو تحقق مجموعة منها في مستشرق بعينه إن لم تتحقق فيه كلها، وكل هذا داخل في الغوص في الدراسات التي قاموا بها، ودقتهم في استشهاداتهم المرجعية واقتباسهم من المصادر.

في مجال التحقيق والنشر:

أما فيما يتعلق بمدى إسهامهم في تحقيق التراث الإسلامي ونشره فهذا موضوع لا يقل أهمية عن تتبع الدراسات، فالمعروف عن المستشرقين عنايتهم بنشر المخطوطات التي كانت حبيسة المكتبات الغربية، والتتبع هنا ربما ينصب على نسبة المحقق والمنشور عن طريق المستشرقين مقابلا بما حققه ونشره العلماء المسلمون من العرب وغيرهم. كما ينصب على الاتجاهات التي طغت على الموضوعات أو العنوانات المحققة والمنشورة. والمفترض الآن أنهم ركزوا على موضوعات معرفية هي على العموم لا تسير على الخط الإسلامي السليم، وربما قيل إن النسبة الكبرى لما حققه المستشرقون ونشروه لا يسير على الخط الإسلامي السليم. وعند النظر إلى العنوانات أو الموضوعات وحصرها يمكن للمرء أن يخرج بهذه النتيجة السلبية. فإن كان العكس بأن خرج الباحث بنتائج طيبة، فليكن كذلك ، معتمدين في هذا على العدل الذي لا يردنا عنه عدم اتفاقنا معهم فيما قاموا به من تأثير على بيئتنا الدينية والثقافية والعلمية والسياسية والاجتماعية[٨٨].

ومن هذا القبيل الدراسة التي قام بها «عبدالعظيم الديب»، حيث قام بعمل إحصائي حصر فيه شيئا مما تم تحقيقه ونشره من تراث العرب والمسلمين معتمدا في

(٨٨) وهذا ما يمليه علينا قوله تعالى من الآية الثامنة من سورة المائدة ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا على مصدرين أساسيين في هذا المجال هما (معجم المخطوطات العربية) لصلاح الدين المنجِّد، وقد صدر في خمسة أجزاء من الفترة ١٣٩٨هـ إلى ١٤٠٠هـ، وكتاب (ذخائر التراث العربي الإسلامي) لعبدالجبار عبدالرحمن، وقد صدر في جزأين من الفترة ١٤٠١هـ إلى ١٤٠٣هـ[٨٩].

فالجزء الأول من معجم المنجد يغطي ما نشره في الفترة من سنة ١٣٧٤هـ إلى ١٣٨٠هـ ، حيث نشر فيها أربعمائة وأربعة عشر (٤١٤) عنوانا ، كان نصيب المستشرقين منها ثمانية وخمسين (٥٨) عنوانا، وهذا يعدل أربعة عشر بالمئة (١٤٪).

والجزء الثاني يغطي ما نشر في الفترة من سنة ١٣٨١هـ إلى سنة ١٣٨٥هـ، حيث نشر في هذه الفترة ثلاثمائة واثنان وخمسون (٣٥٢) عنوانا، وكان نصيب المستشرقين منها سبعة عشر (١٧) عنوانا فقط، وهذا يعدل خمسة بالمائة (٥٪).

والجزء الثالث من المعجم يغطي الفترة من سنة ١٣٨٧هـ إلى سنة ١٣٩٥هـ، حيث نشر فيها أربعمائة وثلاثون (٤٣٠) عنوانا، وكان نصيب المستشرقين منها ثمانية عشر (١٨) عنوانا، وهذا يعدل ٤٪.

ولو وزعت هذه العنوانات البالغة ألفا ومائة وستة وتسعين (١١٩٦) عنوانا على السنين التي غطاها المعجم وهي سبع عشرة (١٧) سنة لكان نصيب كل سنة منها سبعين (٧٠) عنوانا، ونصيب المستشرقين في كل سنة منها خمسة عنوانات ونصف العنوان (٥,٥) ، إذ إن النصيب الإجمالي للمستشرقين في السنين كلها ثلاثة وتسعين (٩٣) عنوانا. وهذا يعدل (٨٪) من مجموع المنشور والمحقق.

---

(٨٩) عبد العظيم الديب. المستشرقون والتراث. ـ ص ٤٦. وقد اقتصرت دراسة الدكتور عبد العظيم الديب على الأجزاء الثلاثة الأولى. ولابد من ملاحظة أن كتاب عبد الجبار عبدالرحمن (ذخائر التراث العربي الإسلامي) يعد عالة على إصدارات صلاح الدين المنجِّد (معجم المخطوطات العربية) ولابد كذلك من ملاحظة أن هناك مخطوطات منشورة من تحقيقات المستشرقين منثورة في الدوريات الاستشراقية لم ترصد. وقد حاول على البواب استدراكها في عدة أعداد من مجلة عالم الكتب (الأعداد الأربعة من المجلد التاسع (١٤٠٨ ـ ١٤٠٩هـ) والعدد الأول من المجلد العاشر (رجب ١٤٠٩هـ) وهاتان الملحوظتان قد تقللان من دقة البيانات المستقاة من الكتابين لعدم شمولها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكانت الطريقة التي اتبعها «عبدالعظيم الديب» مع كتاب (ذخائر التراث العربي الإسلامي) لعبدالجبار عبد الرحمن تختلف عنها مع (معجم المخطوطات العربية) لصلاح الدين المنجِّد، حيث اتبع هنا أسلوب العينة العشوائية ، فاختار عددا متساويا من الصفحات من كل مائة صفحة من الجزء الأول ، فحصل على ست وخمسين بواقع ثماني صفحات من كل مائة صفحة[٩٠]. على أن الكتاب كله يغطي المخطوطات المؤلفة في القرون العشرة الأولى للهجرة، ويجعل سنة (١٤٠٠هـ) حداً نهائيا للمنشور منها. وكانت النتيجة أن حصر المؤلف «عبدالعظيم الديب» ثلاثمائة وعشرين عنوانا(٣٢٠) كان نصيب المستشرقين منها اثنين وثلاثن (٣٢) عنوانا، وهذا يعدل عشرة بالمئة (١٠٪).

الاتجاهات الفكرية للمنشور:

ودرس المؤلف «عبدالعظيم الديب» الاتجاهات الفكرية لمنشورات المستشرقين من حيث المخطوطات من خلال ما أثبته لهم «صلاح الدين المنجِّد» و «عبدالجبار عبدالرحمن». وحيث كان نصيب المستشرقين في معجم «صلاح الدين المنجِّد» ثلاثة وتسعين(٩٣) كتابا، فقد جاءت على النحو التالي:-

(٩٠) المرجع السابق، ص ١٣ . وقد يشكك في الثقة في استخدام العينة وأنها لا تعطي نتائج ثابتة، ويفضل أخذ العمل كاملا كما هي الحال مع كتاب (معجم المخطوطات العربية) لصلاح الدين المنجِّد. وعلى أي حال إذا أضيفت هذه الملحوظة مع الملحوظتين السابقتين تأكد أن مثل هذا المسح إنما يعطي إشارات تمكن من الوصول إلى نتائج أولية، وإن بقي في النفس شيء من رغبة في مسح جميع مانشر من مخطوطات على أيدي المستشرقين واستقراء هذا المنشور من حيث الاتجاهات الفكرية للمنشور. ولعل هذه الوقفة تمتد إلى مثل هذا في مجال آخر بإذن الله .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفـــن	عدد الكتب	النسبة
التصوف والفلسفة وعلم الكلام	٤٠	٤٣٪
التاريخ والتراجم	٢٨	٣٠٪
الجغرافيا والرحلات	٤	٤,٣٪
الفقه	٤	٤,٣٪
اللغة والنحو	٣	٣,٢٪
الأدب	٣	٣,٢٪
الشعر والطرائف	٣	٣,٢٪
البلاغة	٣	٣,٢٪
العلوم	٣	٣,٢٪
التفسير	٢	٢,١٪
المجموع	٩٣	٩٩,٧٪

جدول رقم (١)

الاتجاهات الفكرية في المخطوطات المنشورة في معجم «صلاح الدين المنجد»

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحيث كان نصيب المستشرقين من المخطوطات المنشورة في العينة المأخوذه من كتاب (ذخائر العرب) لـ «عبدالجبار عبدالرحمن» اثنين وثلاثن (٣٢) عنوانا، فقد جاءت موزعة على النحو التالي:

الفـــــن	عدد الكتب	النسـبة
التاريـــخ	٧	٪٢١
التصـوف والأخـــلاق	٤	٪١٢,٥
التراجـــم	٣	٪٩
الشـــعر	٣	٪٩
اللغة والنحـــو	٣	٪٩
الديانات	٢	٪٦
العقيدة والكـلام	٢	٪٦
الأدب	٢	٪٦
الســـيرة	١	٪٣
التفســير	١	٪٣
الحـــديث	١	٪٣
المجمـــــوع	٣٢	٪٩٨

جـــــدول رقم (٢)

الاتجاهات الفكرية في عينة المخطوطات المنشورة في معجم «عبدالجبار عبد الرحمن»

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والاتجاهات واضحة في الكتب والعنوانات من (معجم المخطوطات العربية) حيث برزت فنون التصوف والفلسفة وعلم الكلام على بقية الفنون الأخرى بنسبة تعد عالية (٤٣٪)، ثم يليها التاريخ والتراجم (٣٠٪). والتشابه هنا في علو النسبة لدى كتاب (ذخائر التراث العربي الإسلامي) إذ التاريخ يشكل (٢١٪) وهي أيضا تعد نسبة عالية، ثم يليها التصوف والأخلاق (١٢,٥٪)، كما أن هناك تشابها في ترتيب الفنون فيما يتعلق بالفنين الذين احتلا المرتبتين الأولى والثانية، وإن تنافسا على الأولية في المصدرين، وهذا مؤشر على الاتجاهات الفكرية التي حرص عليها جماعة المستشرقين في نشر المخطوطات العربية، مع عدم إغفال أهمية الفنون الأخرى رغم صغر نسبتها.

عينات من المنشور والمحقق:

عني المستشرقون بأمهات الكتب، نشروها وعلقوا على بعضها وترجموا بعضها، ويذكر لهم في هذا مجموعة مما نشروه مثل السيرة النبوية لابن هشام، وفتوح البلدان للبلاذري، والطبقات الكبرى لابن سعد، والمغازي للواقدي، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، وبدائع الزهور لابن إياس، والكامل للمبرد، ونقائض جرير والفرزدق، وتاريخ الطبري، والوافي بالوفيات للصفدي ووفيات الأعيان لابن خلكان، وغيرها.

وفي الوقت نفسه عنوا بنشر المخطوطات الأخرى التي لا نستطيع أن نقول إنها موضع اتفاق من حيث قيمتها العلمية أو الثقافية والفكرية من أمثال: أخبار الحلاج الحسين بن منصور، والطواسين للحلاج، وطبقات الصوفية للسلمي، والبلغة في الحكمة لابن عربي، وآداب الصحبة وحسن العشرة للسلمي، والتشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات الشاذلي يوسف بن يحي، والرسائل الصغرى لابن عياد الرندي، والخلوة والتنفل في العبادة ودرجات العابدين للحارث بن أسد المحاسبي، وذم الدنيا لابن أبي الدنيا، والمنتقى من كتاب الرهبان لابن أبي الدنيا، المسائل للخراز، ومثلى الطريقة في ذم الوثيقة للسان الدين بن الخطيب، والأئمة المستورون للمهدي عبدالله، والشافية لأبي فراس شهاب الدين الإسماعيلي، والهفت والأظلة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لمفضل بن عمر الجعفي، وتاج العقائد ومعدن الفوائد لعلي بن محمد الراعي، والإيضاح لشهاب الدين الراعي، وتنقيح الأبحاث للملل الثلاث لابن كمونة اليهودي سعد بن منصور، ورسالة راهب من فرنسة إلى المقتدر بالله لراهب من فرنسة، والدياسطرون أو الإنجيل الرباعي لططيانس وترجمة بن الطيب البغدادي، ومثالب على بن أبي بشر (أبي الحسن الأشعري) للأهوازي، ورسالة في الحكمين وتصويب أمير المؤمنين علي في فعله للجاحظ ، والنهج السديد والدر الفريد لأبي الفضائل مفضل القطبي المصري، والأخلاق والانفعالات النفسية لابن سينا، وعيون الحكمة لابن سينا أيضا، وتعبير الرؤيا لأرطاميدس ونقله إلى العربية حنين بن اسحق، والآثار العلوية لأرسطو طاليس، ورسالة في ماهية العدل لمسكويه أحمد بن محمد، والحيل (في الفقه) للخصاف أبي بكر بن عمرو، وديوان أبي نواس، ورسالة التربيع والتدوير للجاحظ (يسخر فيها من أحمد بن عبدالوهاب، ويهزأ بعيوبه الخلقية) والمفاخرة بين الجواري والغلمان للجاحظ[٩١].

وينبغي التأكيد هنا على أن بعض هذه الآثار لها قيمتها العلمية والفلسفية ، ومع هذا نجدها تأتي في وقت الحاجة فيه إلى ما هو أكثر علمية وأنفع فائدة من النفائس، ذلك الوقت الذي بدأت فيه الحركة العلمية في البلاد العربية والإسلامية تعود إلى التراث تجمعه من الخارج وتسعى إلى إخراجه نشرا وتحقيقا.

والحق الذي يتبين من مجموعة من الأعمال التي تشيد باهتمام المستشرقين بتحقيق التراث تنظر إلى الاهتمام بالتراث لذاته، وربما أغفلت الاتجاهات في تحقيق التراث، وأظن أن دراسة الاتجاهات تحتاج إلى وضوح في المعايير التي ستقاس عليها هذه الاتجاهات، بحيث لا يكون نشر كتاب صوفي ـ مثلا ـ يعد عملا حسنا من خلال قياسه على المعايير، أو ربما كان حسنا إذا ما كان المعيار يحتويه، ولذا فإن الأهمية هنا تكمن في صياغة المعايير بحيث تكون منبثقة من أصالة الإسلام التي عرفتها القرون الأولى، بحيث يخرج منها كل من يمكن أن يكون قد أسهم في الابتعاد عن هذه الأصالة من إسهامات المسلمين الأوائل أنفسهم مما كان مجالا للتحقيق والنشر عند

(٩١) عبد العظيم الديب. المستشرقون والتراث. ـ ص ٣٣ ـ ٢٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المستشرقين. وعند عدم الالتزام بمثل هذه الجزئية للمعيار وعدم مراعاته سبب في أن ينظر إلى عمل واحد على أنه حسن كما ينظر إليه نفسه على أنه عمل سيىء .

وعلى أي حال فإن خدمة التراث «ميدان واسع متشعب الجوانب بدءا بجمع المخطوطات وانتهاء بتحقيقها»[٩٢] ولا تقف جهود المستشرقين عند جمع المخطوطات وصيانتها وتحقيقها ونشرها أو تصنيفها وفهرستها، بل ربما زادوا على ذلك بالتعريف بها والكتابة عنها وترجمتها إلى اللغات الأخرى.

وإذا ثبت حكم أو ظهرت نتيجة من خلال دراسة إتجاهات المستشرقين في نشر المخطوطات بني على النتيجة الحكم الموضوعي الذي يعمل على حسم الموقف من تحقيق التراث فيخفف من الاندفاع في تأييد الفكرة تأييدا مطلقا، ويخفف من الاندفاع أيضا في عدم الثقة بهذه الوسيلة من وسائل المستشرقين في العمل مع مصادر المعلومات الإسلامية[٩٣]. وربما يترك حكما وسطا بين الاندفاعين فيحفظ لأهل الفضل فضلهم، ويبين التجاوزات والانحرافات والإساءات والأخطاء، كما يبين أسبابها ومبرراتها حتى لا تكون كلها دليلا عليهم. وبهذا نتجنب الثناء المطلق كما نتجنب التحامل المطلق الذي «يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال، وما تطرقوا إليه من أبحاث»[٩٤].

في مجال الترتيب والفهرسة والتكشيف:

وللمستشرقين جهودهم في مجالات الفهرسة والتكشيف. ويذكر هنا العمل الكبير الذي قاموا به تحت إشراف «أرنيت يان فنسنك»[٩٥] وآخرين (المعجم المفهرس لألفاظ

(٩٢) سامي الصقار. «دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي» المنهل. ـ مج ٥٠، ع٤٧١، السنة ٥٥. ـ ص ١٤٢ ـ ١٦٧. ويؤكد الدكتور الصقار في إسهامات أخرى على الإشادة بأعمال المستشرقين في مقابل غمط الحق مما تأباه الروح الإسلامية.

(٩٣) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون: مالهم وما عليهم. ـ ط٣. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م. ـ ص ١٢ ـ ١٣.

(٩٤) المرجع السابق. ـ ص ١٣.

(٩٥) أرنت يان فنسنك (١٨٨٢ ـ ١٩٣٩م) مستشرق هولندي كان تلميذاً لهوتسما، ودي خويه، وهورجرونيه =

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحديث النبوي) الذي ظهر في سبعة أجزاء ، وغطى الكتب الستة ومسند الدارمي وموطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل. والعمل الآخر الذي قام به «فنسنك» نفسه حيث حاول حصر الأحاديث النبوية مرتبة تربيا هجائيا، ونقله إلى العربية «فؤاد عبدالباقي» تحت عنوان (مفتاح كنوز السنة) وكانت طبعته الأصلية قد ظهرت في «حجم الربع» ونشرها بريل في ليدن سنة ١٩٣٤م في ١٨، ٢٦٨ص، وطبع في مصر بالعربية سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م.

ويذكر هنا في هذا المجال كشاف « نجوم الفرقان في أطراف القرآن » للمستشرق الألماني «جوستاف فلوجل»[٩٦] ونشر في لايبتزج سنة ١٨٤٢م. وكشاف « تفصيل آيات القرآن الحكيم » الذي وضعه بالفرنسية «جول لابوم»[٩٧] ونقله إلى العربية أيضا «محمد فؤاد عبدالباقي» وفيه ترتيب للآيات ترتيبا موضوعيا[٩٨].

ويذكر العمل الذي قام به كل من «فيشر» و «برويونلخ» حيث حاولا حصر شواهد الشعر في أمهات كتب النحو العربية في كتاب صدر في كل من لايبتزج وفيينا بين سنة ١٩٣٤م - ١٩٥٤م، وطبعته دار أوتو تزيلر في أوزنا بروك بألمانيا سنة ١٩٨٢م في ٣٥٢ صفحة[٩٩]

وتذكر أعمال أخرى كثيرة حول فهرسة المخطوطات العربية الموجودة في المكتبات والمتاحف الغربية، وهناك أكثر من مستشرق عني بهذا العمل يصعب حصرهم هنا، ويذكر منهم المستشرق الألماني «آلوارد» الذي وضع فهرسا للمخطوطات العربية

= وسخاو. رسالته للدكتوراة كانت عن «محمد واليهود في المدينة» استعان بمائة وثلاثين باحثا لوضع المعجم المفهرس من سنة ١٩١٦م. انظر عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. - ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٩٦) جوستاف فلوجل (١٨٠٢ - ١٨٧٠م) درس اللغات الشرقية في لايبزج، ثم أقام في فينا وباريس ثم عاد لألمانيا. وعمل على وضع فهارس للمخطوطات العربية والفارسية والتركية في مكتبة فينا. توفي في درسدن. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون. - ٢/٣٦٣ - ٣٦٤.

(٩٧) ذكره عبد الستار الحلوجي في المرجع التالي. ولم أقف له على ترجمة في مظانه.

(٩٨) عبد الستار الحلوجي. «جهود المستشرقين في مجال التكشيف الإسلامي» في: مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ع٦ (١٣٩٦هـ ١٩٧٦م)، ص ٧٢٣ - ٧٤٩

(٩٩) Fischer und E. Braunlich. Shawahid - Indices. Osnabruck0 Otto Zeller, 1982 - 352 P.P.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بمكتبة برلين في عشرة مجلدات، وصدر هذا الفهرس في نهاية القرن الميلادي الماضي، وحوى نحو عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) مخطوطة[١٠٠]. وقد عمل الأستاذ «فؤاد سزكين» على حصر الفهارس في مكتبات العالم ضمن العمل الذي قام به حول تاريخ التراث العربي[١٠١]. وقبله عمل «كارل بروكلمان» في (تاريخ الأدب العربي) على حصر بعض فهارس المخطوطات في مكتبات العالم[١٠٢].

ولا شك في تأثير هذه الأعمال الحصرية على المكتبة العربية وعلى الباحث العربي، ومع هذا فهي لا تكاد تخلو من ملحوظات بعضها يدخل في جانب التقصير البشري الذي يصاحب أي عمل جاد ومضن، وبعضها الآخر قد يتعدى مجرد ذلك إلى ما يدخل في الخطأ والإساءة والانحراف في التبويب أوالتكشيف أو الترتيب أو الفهرسة مما قد يدخل في الأسباب غير العلمية.

وقد لحظ المراجعون لما هو متوافر من هذه الكشافات والفهارس في المكتبة العربية شيئا من هذا القصور الذي يستحق المتابعة. وخير ما يذكر في هذا المقام وقفة «سعد المرصفي» مع أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ومع أنه لم يعمد إلى استقصاء الأخطاء في المعجم إلا أنه وصل أربعمائة وتسعة وسبعين (٤٧٩) نموذجا للأخطاء كلها كلها تتعلق بصحيح مسلم أحد مواد المعجم التسع،

---

(١٠٠) سامي الصقار «دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي». المنهل. ص ١٥٦. وانظر مناقشة الفهارس عند أحمد محمد شاكر في مقدمة الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. ـ ٥ج. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت. ـ ١/٤٣. ٦٢.

(١٠١) فؤاد سزكين. تاريخ التراث العربي: مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم. نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م. ٢٨١ ص. وانظر أيضاً مناقشة فهارس المخطوطات عند عبدالستار الحلوجي. «فهارس المخطوطات». في: دراسات في الكتب والمكتبات. ص ١٥٥ ـ ١٦٨.

(١٠٢) كارل بروكلمان. تاريخ الأدب العربي. ج ٤ نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ورمضان عبدالتواب. القاهرة: دار المعارف، (١٩٨٣م). ص٢٠ ـ ٤٠. وبروكلمان (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦م) مستشرق ألماني تخرج باللغات السامية. وكتب بالعربية وبالتاريخ الإسلامي، وتاريخ الأدب العربي، له آثار كثيرة، انظر نجيب العقيقي المستشرقون ـ ٢/٤٢٤ ـ ٤٣٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وزعها على سبع مجموعات ويورد لكل مجموعة نماذج من الأخطاء التي وقف عليها على النحو التالي[١٠٣] :

المجموعة الأولى :

التحريف في العبارة : وأختار مثالا لهذه المجموعة النموذج رقم (٢٦) في الكتاب ، حيث ورد في الجزء السابع من المعجم ، ص ٣٠٣ في مادة « وكع » كلمة فوكعت في جملة « فقدمنا المدينة فوكعت شهراً » والأصل أنها فوعكت شهرا[١٠٤]

المجموعة الثانية :

الخطأ في العزو: ومثاله النموذج رقم (٦٦) حيث ورد في الجزء السابع ص ٣٨٢ في مادة «يمن» جملة «كان يسلم ثم يقول السلام . . عن يمينه وعن يساره» فأشار إلى ورودهما في مسلم ، إقامة ٢٨ ، وهو خطأ، حيث لا يوجد في مسلم كتاب باسم الإقامة[١٠٥] .

المجموعة الثالثة :

الخطأ في الإشارة إلى الكتب : ومثاله ورود مادة «جنب» في الجزء الأول ص ٣٨٠ ، في جملة «وجنب الشيطان مارزقتنا» مشارا إليها في مسلم ، طلاق٦ ، وهو خطأ ، والصحيح أنها في ١٦ النكاح ١١٦ .[١٠٦] وأراد بالكتب هنا تقسيم الكتاب إلى مجموعة أبواب عبر عنها السلف بالكتب وهي أقرب إلى رؤوس الموضوعات .

المجموعة الرابعة :

الخطأ في الإشارة إلى أرقام الكتاب الواحد : ومثاله النموذج رقم (١٢) حيث ورد

(١٠٣) سعد المرصفي . أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي . ـ الكويت : دار القلم ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م . ـ ٢١٠ص .

(١٠٤) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(١٠٥) المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(١٠٦) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في الجزء الرابع، ص ١٥٣ في مادة عدل جملة «إمام عادل» مشاراً إليها في مسلم، زكاة، وهو خطأ، والصحيح أنها في ١٢ ـ زكاة ٩١ (١٠٣١) وهي فيه «الإمام العادل» بأل التعريف[١٠٧].

المجموعة الخامسة:

وضع اللفظ في غير مادته: وأختار له مثالا النموذج رقم (١٥) حيث ورد في الجزء الأول ص ٢٧٢ كلمة «ترياق» في مادة «ترى» وهو خطأ والصواب وضعها في مادة «ترق» وهي في «وإنها ترياق أول البكرة» ٣٦ ـ الأشربة ١٥٦ (٢٠٤٨)[١٠٨].

المجموعة السادسة:

المخالفة في الترتيب والتداول: ومثالها في النموذج رقم (١٣) حيث ورد في الجزء الأول ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ مادة «جمم» قبل «جمح» والمشهور المتداول وضعها بعد «جمل» وهي في «فأتى الناس الماء جامين رواء» ٥ ـ المساجد[١٠٩].

المجموعة السابعة:

عدم الاستيعاب: ومثاله النموذج (٤) حيث لم يذكر في المعجم الجزء الثالث ص ١٢٤ مادة «شطر» في «الطهور شطر الإيمان» مع ورودها في مسلم، ٢ ـ الطهارة ـ ١ (٢٢٣)[١١٠].

وإذا كان في المستشرقين رجال أحرار الفكر لا يقصدون إلى التعصب، ولا يميلون مع الهوى، إلا أنهم أخذوا العلم ـ في الغالب ـ عن غير أهله، «وأخذوا من الكتب، وهم يبحثون في لغة غير لغتهم، وفي علوم لم تمتزج بأرواحهم، وعلى أسس غير ثابتة

(١٠٧) المرجع السابق، ص ١٢٣.
(١٠٨) المرجع السابق، ص١٣٧.
(١٠٩) المرجع السابق، ص ١٤٩.
(١١٠) المرجع السابق، ص ١٧٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وضعها متقدمون، ثم لا يزال ما نشئوا عليه واعتقدوا يغلبهم، ثم ينحرف بهم عن الجادة.

فإذا هم قد ساروا في طريق آخر، غير ما يؤدي إليه حرية الفكر والنظر السليم»[١١١].

ويقول أحمد محمد شاكر: «ومعاذ الله أن أبخس أحدا حقه، أو أنكر ما للمستشرقين من جهد مشكور في إحياء آثارنا الخالدة، ونشر مفاخر أئمتنا العظماء، ولكني رجل أريد أن أضع الأمور مواضعها، وأن أقر الحق في نصابه، وأريد أن أعرف الفضل لصاحبه، في حدود ما أسدى إلينا من فضل، ثم لا أجاوز به عن حده، ولا أعلو به عن مستواه، ولكني رجل أتعصب لديني ولغتي أشد العصبية، وأعرف معني العصبية وحدَّها، وأن ليس معناها العدوان، وأن ليس في الخروج عنها إلا الذل والاستسلام، وإنما معناها الاحتفاظ بمآثرنا ومفاخرنا، وحوطها والذود عنها، وإنما معناها أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأعرف أنه «ماغزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا» وقد ـ والله ـ غُزينا في عقر دارنا، وفي نفوسنا، وفي عقائدنا، في كل ما يقدسه الإسلام ويفخر به المسلمون.

وكان قومنا ضعافا، والضعيف مغرى أبدا بتقليد القوي وتمجيده، فرأوا من أعمال الأجانب ما بهر أبصارهم، فقلدوهم في كل شيء، وعظموهم في كل شيء، وكادت أن تعصف بهم العواصف، لولا فضل الله ورحمته[١١٢].

الخاتمة والنتيجة:

في العرض السابق محاولة لإعطاء أمثلة مقتبسة من مصادر عربية تحدثت عن ظاهرة الاستشراق وأبرزت في حديثها شيئا مما أسهم به المستشرقون في تشويه الآثار

(١١١) أحمد محمد شاكر. في الجامع الصحيح، ١/١٩ ـ ٢٠.

(١١٢) المرجع السابق، ١/٢٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإسلامية حول الرجال الذين نعدهم قادة في العلم والفكر والسياسة، وحول ظواهر نعدها من مقومات هذا الدين.

وربما تكون هذه المحاولة ظاهرة الميل إلى الحكم العام على إسهامات المستشرقين بأنها لم تكن في مصلحة الدراسات الإسلامية، وأنها لم تتعامل مع مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين بتجرد وموضوعية مطلوبة من كل عالم يخوض في مجالات العلم مهما كانت انتماءاتها العقدية والفكرية.

وليست هذه المحاولة بشاملة لهذه الهفوات التي وقع فيها المستشرقون، إذ إن إسهامات الكتاب المسلمين لا تزال تترى لتبيان الأخطاء التي يصر عليها هؤلاء المستشرقون ضد الإسلام والمسلمين. وهي على العموم أخطاء مقصودة في غالب الأحيان، وإن كانت هناك هفوات «عفوية» ما أرادها بعض المستشرقين لذاتها، ولكنهم وقعوا فيها لاعتمادهم على أترابهم الذين وقعوا هم فيها.

وحيث إن الأمر يحتاج إلى مزيد بحث ودراسة مستقلة تطغى عليها العلمية ويقودها منهج البحث الموضوعي فإن الوصول إلى النتيجة يحتاج إلى مزيد من الاقتناع والإقناع.

وقد قدم لنا المسهمون في نقد آثار المستشرقين أنفسهم، الأرضية التي يمكن أن نسير عليها في سبيل الوصول إلى النتيجة. وقد يقال إن الإسهامات وحدها كفيلة بالوصول إلى النتيجة دون مزيد بحث أو دراسة، ولكني أقول إن هذه الإسهامات قد طغت عليها - في غالبها - التعميمات التي تريد أن تثبت ما وصلت إليه عن طريق الاستشهاد بأكثر من عمل لأكثر من مستشرق في أكثر من فرع من فروع المعرفة. بل إن من الإسهامات حول هذه الظاهرة ما لايتعدى كونه ترديدا لمفهومات قديمة مكررة من محاضرة ألقيت، أو كتاب ألف في بدايات مناقشة ظاهرة الاستشراق، ويحصل في هذه المجوعة شيء من الخلط يعمد إليه المستشرقون أنفسهم يستشهدون به، ويردون به على أولئك الذين يرغبون في حوار علمي مباشر تنجلي من خلاله كثير من المغالطات.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا لا يغفل وجود دراسات متخصصة حول إسهامات المستشرقين في موضوعات محددة كالقرآن الكريم،[113] وسيرة الرسول ـ عليه السلام ـ[114] وأحاديثه ـ عليه الصلاة والسلام ـ [115]والتشريع الإسلامي ومصادره،[116] والعقيدة،[117] والتاريخ الإسلامي،[118] ونحوها من الإسهامات المتخصصة التي تحتاجها المكتبة العربية قصدا إلى الوصول إلى النتيجة.

والنتيجة الأولية التي تدعو إليها معظم هذه الإسهامات هي الدعوة الصادقة إلى العلماء المسلمين والمثقفين، والمفكرين للاستغناء عن إسهامات المستشرقين وإسقاط جانب الدراسات والتعليقات من قائمة مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين.

---

(١١٣) انظر على سبيل المثال: محمد صالح البنداق. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم. ـ مرجع سابق. ومحمد حسين علي الصغير. المستشرقون والدراسات القرآنية. ـ بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م. ـ ١٣٤ ص. وزاهر عواش الألمعي. مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من زينب بنت جحش: دراسة تحليلية. ـ ط٤. ـ (الرياض: المؤلف)، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ ١٢٧ص.

(١١٤) انظر مثلا نذير حمدان. الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كتابات المستشرقين. ـ ط٢. جدة: دار المنارة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م. ـ ٢٠٧ ص. ومحمد سرور بن نايف زين العابدين. دراسات في السيرة النبوية. ـ برمنجهام: دار الأرقم، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م. ـ ٣٦٦ص. وجوستاف بفانملر. سيرة الرسول في تصورات الغربيين. ـ ترجمة محمود حمدي زقزوق. ـ المحرق (البحرين): مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م. ـ ٥٦ص.

(١١٥) انظر مثلا سعد المرصفي. أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ـ مرجع سابق.

(١١٦) انظر مثلا عجيل جاسم النشمي. المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي. ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م. ـ ٢٥٦ص.

(١١٧) انظر زيد بن أحمد بن زيد العبلان. الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية: دراسة ومناقشة وتحليل. ـ بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٦هـ. ـ ٦١٣ ص(مخطوطة).

(١١٨) انظر مثلا شوقي أبو خليل. موضوعية فيليب حتى في كتابة تاريخ العرب المطول. ـ دمشق دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م، ـ ٢٢٣ص. وعبد الكريم علي الباز. افتراءات فيليب حتى وكارل بروكمان على التاريخ الإسلامي. ـ جدة: تهامة، ٠٣)١٤هـ. ـ ١٧٤ص.

شبكة الألوكة ـ قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه دعوة سهلة الوضع النظري، ولكنها من الناحية العملية سابقة لأوانها لأن عاملي الاقتناع والإقناع لا يزالان في مراحلهما الأولى.

وليس من السهل الميسور أن يقف مثلي هذا الموقف داعيا إلى مثل هذه النتيجة، لأن مدى قبولها مرهون بمدى تعمق الداعي نفسه في هذه الظاهرة (الاستشراق)، وإلمامه بجل جوانبها بحيث يكون ما يقوله أو يدعو له مستندا على تلكم الأرضية التي مهدها لنا أولئك الذين تتبعوا المستشرقين ولايزالون. وأخص منهم هنا «الجادين» الذين لا يشكلون صدى للآخرين لمجرد أنهم متحمسون لفكرة، وغيورون على انتمائهم الثقافي من تلك الفئة التي تعتقد اعتقادا لا يخلو من السطحية أن نظرية المؤامرة تلاحق هذه الثقافة من كل مكان ووجهة[١١٩].

١ ـ والاستغناء عن الاعتماد على إسهامات المستشرقين في مجالات الدراسات والتعليقات على مصادر المعلومات الإسلامية يمكن أن يبدأ مرحليا، بحيث لا نصر ـ مثلا ـ على الباحثين في العلوم العربية والإسلامية أن يجعلوا ضمن مراجعهم المراجع الأجنبية، ولا يكون هذا ديدنهم إلا إذا كان البحث يتطلب ـ علميا ـ مثل هذا الاستشهاد. وقد رأينا بحوثا، في التاريخ الإسلامي خاصة، كثيرة المصادر والمراجع العربية ثم تضع في ختامها مجموعة من المراجع الأجنبية ومعظمها لمستشرقين. ورأيت في هذا شيئا من التكلف وعدم الاقتناع من الباحث. فيزال هذا المطلب الضمني، وتعتمد علمية البحث أو الرسالة على

(١١٩) ينقل سامي الصقار عن مجلة المسلمون ع٥ في ١٥/٢/١٤٠٢هـ ـ ٢٧/١١/١٩٨١م. ص٤٢ من مقال للمستشرق الأمريكي «دونالد ليتل» قوله: «نعم؛ الاستشراق ليس شرا كله، كما يعتقد البعض ممن ترسبت في نفوسهم الكراهية للغرب الاستعماري، حتى أغلقوا وأيقنوا أن كل مايهب من الغرب لايمكن إلا أن يكون رياح المؤامرات والدس والفتن والكيد للإسلام والمسلمين. وفي هذا ظلم كبير لبعض المستشرقين ولأنفسنا أيضاً، لأننا بهذا الموقف نحرم ثقافتنا الإسلامية من ثمار عقول لايحركها إلا حبها للحقيقة، ونقيم حاجزا بين أنفسنا وبين علماء ينفقون سنوات عمرهم في محاولة الاقتراب منا واستيعاب ثقافتنا وفهمها» انظر «دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي» المنهل ـ مرجع سابق. ص ١٤٣. وكلام «ليتل» يوحي بالانتماء للإسلام، فإن يكن مسلماً فإنه حينئذ لا يصدق عليه أن يقال عنه إنه مستشرق. ومن غير الصواب قول بعضهم عن مستشرق أسلم المستشرق المسلم. إذ لايجتمعان.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مدى اقتصارها على أمهات الكتب والمصادر الموثوقة والمراجع المقبولة.

٢ ـ كما يمكن أن يبدأ الاستغناء هذا بعدم التبجح بالاستشهاد بأقوال المستشرقين التي تبدو فيها الإيجابية حول مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين. ولا أخال الإسلام بحاجة إلى هذه الأقوال إذا ما كان موضع اقتناع كامل من أهله العلماء والمثقفين وعامة الناس. فحاول الجميع غرس الثقة بالموروث الثقافي، وخاصة ما صلح منه.

٣ ـ ويمكن أن يبدأ الاستغناء أيضا عن إسهامات المستشرقين في مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين في مجالات الدراسات والتعليقات عندما يتحقق البديل لهذه الدراسات والتعليقات باللغة العربية أولا، ثم باللغات الأخرى التي يتكلمها المسلمون ثانيا، ثم باللغات الباقية الأخرى ثالثا. هذا البديل الذي يراد منه أن يسد النقص في مجالات كثيرة لا تقتصر على الدراسات الإسلامية التي تملأ الساحة اليوم، بل تتعدى هذا إلى إيجاد الأدوات المرجعية كالموسوعة الإسلامية المؤصلة،[١٢٠] والوراقيات «الببليوجرافيات» العربية للإسهامات الإسلامية[١٢١] وتعدد مراكز البحوث التراثية التي تهتم بالمخطوط العربي دراسة وتحقيقا ونشرا وصيانة.[١٢٢] وأعلم، ويعلم كثير من المتابعين، أن هناك دراسات وتحقيقات لمخطوطات أريد منها الحصول على مؤهلات علمية عالية، ثم بقيت عند أصحابها والمؤسسات التعليمية التي أجازتها مطبوعة بالآلة الكاتبة، واعتمد نشرها على قدرة الباحث المادية على تحمل نفقات نشر هذا الانتاج، وهناك بدائل أخرى كثيرة ذات علاقة مباشرة بخدمات المكتبات والمعلومات من وراقيات «ببليوجرافيات» وفهارس وكشافات ونحوها مما لا يستغني عنه الباحث اليوم،

(١٢٠) انظر المناقشة الجيدة للموسوعة العربية عند نسيم الصمادي. دائرة المعارف العربية: أزمة فكر لا أزمة نشر، مرجع سابق.

(١٢١) انظر المناقشة الجيدة لتجميع التراث المخطوط عند عبد الستار الحلوجي. «نحو خطة عربية لتجميع تراثنا المخطوط» في: دراسات الكتب والمكتبات. مرجع سابق. ص ١٦٩ ـ ١٨١.

(١٢٢) وانظر أيضاً المناقشة الجيدة حول دراسة المخطوط عند عبدالستار الحلوجي. «مسؤولية جامعاتنا تجاه تراثنا المخطوط» في المرجع السالق، ص ١٨٣ ـ ١٩٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن وجدت هذه بكثافة أسهمت في تحقيق الدعوة إلى الاستغناء عن إسهامات المستشرقين في دراسات مصادر المعلومات الإسلامية.

٤ - ثم يمكن أن يبدأ الاستغناء هذا عندما تقوم المؤسسات العلمية المتخصصة بدراسة ظاهرة الاستشراق بتوجيه جهودها إلى المستشرقين أنفسهم بلغاتهم، تحاورهم محاورات علمية، وتناقشهم مناقشات موضوعية، وتناظرهم مناظرات هادئة، يقصد من ورائها كلها الوصول إلى الحق. فيعترف من خلال المؤسسات العلمية المتخصصة بدراسة الاستشراق بالجيد المقبول من الإسهامات الاستشراقية، ويرد غيرها مما حصل فيه خلط أو سوء فهم أو قصد فيه إلى المغالطات. والمحاورات والمناظرات يمكن أن تكون مباشرة من خلال الندوات والمؤتمرات والحلقات العلمية وغيرها، أو يمكن أن تكون عن طريق الدراسات والأبحاث والمقالات التي تنشر في دوريات علمية محكمة رصينة.

والوسائل متعددة وكل ما أسهم في تذليل عقبات اللقاء مع المستشرقين قصدا إلى الاستغناء عن الاعتماد عليهم في مجالات الدراسات والتعليقات فهو مقبول مادام لا يجر إلى محذور يدخل في متاهات أخرى، وإن كان البعض ربما لا يروقه مثل هذا الأسلوب، ويرى إغفال القوم وعدم إعارتهم أي انتباه مباشر، والاستمرار في الوقوف مع إسهاماتهم نقدا ومراجعة، ولا أظن هذا الموقف سوف يغنينا عن الاعتماد على إنتاج المستشرقين العلمي مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين وعن تراث المسملين في ماضيهم وحاضرهم. ولا أرى من الحكمة تجاهل هذا الأمر وإثارة سؤال استنكاري حول التصدي لإسهامات المستشرقين في إثراء المكتبة الإسلامية بالأعمال حين يقال: ثم ماذا؟! ماذا يهمنا أن يقول عنا المستشرقون وأرى أن من الحكمة إعطاء هذا الأمر ما يستحق، لأني أزعم أنه جزء مهم وفاعل في محاولة نزع سلطان الدين من النفوس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب